

كتب فوجيه

مخونة عمرية ذاتية²

بمصر

احمد يوسف القرعى



كتاب فومية

المكتبة الوطنية
مكتبة العزيز بن عبد الله
في قسم اللغة العربية
بلاط
الاسكندرية

مختارة عربية ذاتية

بمعلم

احمد يوسف القرعي

إهداء

الى السيد الرئيس جمال عبد الناصر

صانع القوة العربية الذاتية المعاصرة التي تتمثل وتتجسد في
الجمهورية العربية المتحدة ، وهي تسعى بكل جهدها وكامل طاقاتها
الى أن تكون المثل الكامل لما يجب أن يكون عليه الوطن العربى الحر
والمواطن العربى الحر .

أحمد يوسف السيد أحمد القرعى
يكالوريوس العلوم السياسية
جامعة القاهرة

من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر في .. القوة الذاتية للامة العربية

« القوة الذاتية في تقديري هي : الحرية الشاملة .. حرية الارض العربية وحرية الانسان العربى صاحب هذه الارض »

اننى أومن ايماناً لا يتطرق اليه أى شك أن المجابهة الحقيقية لكل ما يعترض الامة العربية من مشكلات وأخطار إنما يتمثل في ضرورة القوة الذاتية لهذه الامة العربية . »

« ان كل قوة ذاتية يحصل عليها أى بلد عربى .. إنما هي رصيد يضاف الى الذخيرة الكبرى لأمتنا العظيمة ويزيد من قدرتها على تحقيق النصر أمام جميع أنواع التحديات الناجمة من مجابهة المشكلات والاطار »

« من ناحية اسرائيل .. نحن نؤمن أن الشر الذى وضع فى قلب العالم العربى لا بد أن يقلع .. وان الحق الذى اغتصب من الكل العربى لا بد أن يعود الى أصحابه .. ولكن ذلك يتطلب قوة عربية ذاتية شاملة .. لهذا وضعت مشكلة اسرائيل فى ختام هذه العوامل من سياستنا فى علاقاتها بالاطراف غير العربية ذلك أن هذه المشكلة تتصل اتصالاً وثيقاً بأوضاعنا الداخلية .. لأنها كما قلت ترتبط ارتباطاً لا انفصال فيه مع قوتنا الذاتية الشاملة .. وإذا ما ذكرنا أننا لا نواجه اسرائيل وحدها وإنما نواجه معها من قوى الاستعمار ما لا بد من حسابه .. اذا ما ذكرنا ذلك أدركنا حدود القوة الذاتية الشاملة اللازمة لنا لتصحيح جريمة سنة ١٩٤٨ .. »

جمال عبد الناصر

مقدمة

العرب أمة واحدة ..

حقيقة صادقة لم يكن لها قط بريق المعدن الكاذب ولا رنين العمله الزائفة .

حقيقة مؤكدة لا تنقضها دعوى مدع في الشرق ولا في الغرب ..

ويقول الرئيس جمال عبد الناصر : .. ولسنا في حاجة الى أن بعد الاسانيد والحجج التي تجعل من هذه الوحدة غاية حتمية لا بد أن يصل اليها كفاحنا من أجل القوة .. وانما يعني أن نؤكد حقيقتين حاسمتين :

أولاهما : أن الامة العربية برغم الحدود المصطنعة عاشت تاريخا واحدا ..

والاخرى : أن الامة العربية برغم اختلاف الغزاة احتفظت بلغة واحدة .

واذا كان تاريخ أية أمة هو صانع ضميرها .. فان لغة أية أمة هي صانعة فكرها .

فاذا كانت للعرب وحدة الضمير ووحدة الفكر .. فمعنى ذلك بوضوح هو أن العرب أمة واحدة .

ولقد عاشت الامة العربية تاريخها الطويل بين مد وجذر . حيث تعرضت كثيرا للمحنة والاختبار .. ودخلت مع قوميات أخرى في حروب ومعارك مريرة وتقلب على الامة العربية الاستعمار - بكل أشكاله وألوانه ومظاهره وطرقه وأساليبه .. منذ القرن التاسع الميلادي .. من سيطرة الجند الترك ثم الغزو الصليبي والمغولي ثم الاستبداد العثماني وأخيرا الاستعمار الغربي والاستعمار الصهيوني

وأمام التيارات الغازية والمخاطر المتعاقبة والحركات المعادية للعروبة ..

وأمام المخططات الاستعمارية والنعرات الطائفية والمذهبية والاقليمية والرجعية ..

وأمام الخطوط والفواصل الوهمية والحواجز والكيانات السياسية المصطنعة في الوطن العربي ..

أمام كل قوى التحديات التي تعترض طريق الأمة العربية . قبل العرب التحدي .. وخاض الشعب العربي كفاحا مريرا داميا في معركة النضال العربي التحرري من أجل تحرير الارض العربية وتحرير الانسان العربي ..

وتتابعت الانتفاضات والحركات والثورات التحررية التقدمية من الخليج الى المحيط .. بحيث أصبح تاريخ العرب الحديث على اختلاف مواضع الاحداث فيه رواية لمعركة موحدة للعرب - معركة المصير العربي ، وجزءا منصلا بالتاريخ القومي للعرب منذ نهضتهم الاولى .. وذلك كله من أجل تحقيق وتوفير القوة الذاتية العربية الشاملة ..

والقوة الذاتية - على حد تعريف الرئيس جمال عبد الناصر - هي الحرية الشاملة .. حرية الارض العربية .. وحرية الانسان العربي صاحب هذه الارض ..

بمعنى أن القوة الذاتية لا تتحقق الا بالحرية الشاملة .. حرية الوطن العربي وحرية المواطن العربي سياسيا واقتصاديا وانسانيا .

فالقوة الذاتية لأي بلد عربي .. لا تتحقق بالاستقلال الزائف بحروج آخر جندي أجنبي .. وبالمعاهدات والاتفاقيات اللامتكافئة أو المشروطة بشروط تمس حرية الوطن أو المواطن ..

والقوة الذاتية .. لا تعرف البرلمانات الزائفة والانتخابات المطبوخة والشعارات الجوفاء ..

والقوة الذاتية .. لا تعرف بالحرية السياسية دون الحرية الاجتماعية ..

والقوة الذاتية .. لا تبني الا على أساس الكفاية في الانتاج والعدالة في التوزيع ..

والقوة الذاتية .. لا تعمل لحساب البيت الابيض .. أو لحساب الكرملين - وانما تعمل لحساب جماهير الشعب العربي ..

والقوة الذاتية .. لا تعرف الاستكانة والخضوع لاصوار مناطق النفوذ ..

والقوة الذاتية .. لا تنحاز شرقا ولا غربا .. الى أى من المعسكرين المتنازعين المتصارعين .. وانما تجد في الحياد الايجابي وعدم الانحياز مجالا للنمو والنشوء والارتقاء ..

وخلاصة القول أن القوة الذاتية للامة العربية - وهى تعنى حرية الامة العربية الشاملة - انما تنبع وتنبتق من أعماق هذه الامة على وعى وادراك لحقيقة هذه القوة الذاتية وأهدافها ومراميها وان جماع أمرها ومردّها للارادة العربية الخالصة ..

والقوة الذاتية العربية من أولى ضرورات ومتطلبات معركة النضال العربى التحررى الهادفة لتحرير الوطن والمواطن العربى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وانسانيا واقامة المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ..

أمام جميع أنواع قوى التحديات التى تجابه الامة العربية

يؤكد ذلك الرئيس جمال عبد الناصر بقوله :

اننى أومن ايمانا لا يتطرق اليه أى شك أن المجابهة الحقيقية لكل ما يعترض الامة العربية من مشكلات وأخطار - انما يتمثل فى ضرورة توفير القوة الذاتية لهذه الامة العربية ..

وتاريخ كفاحنا ونضالنا العربى - القديم والحديث - خير شاهد على كلام رائد القومية العربية وصانع القوة الذاتية المعاصرة المتمثلة والمتجسدة فى الجمهورية العربية المتحدة .

وفي تاريخنا القديم نجد أن « المجتمع العربي في ظل الحكم الإسلامي تعرض لآخطار متعددة .. لكنه تمكن من التغلب عليها .. وطوال الفترة التاريخية التي استمرت من حكومة النبي صلوات الله عليه حتى الدولة العباسية كان يمتلك القوة الذاتية والدافعة التي تمنحه قوة المقاومة والدفاع ضد آخطار الغزو والتفكك والتمرد .. ولكنه في أواخر أيام الدولة العباسية أخذت هذه القوة الذاتية تجمد وتتضاءل وتتوقف عوامل الحركة فيه .. مما يصبح معه القول أنه يدخل في مرحلة الركود الذي يتبعه فعلا الانهيار .. وهذا شيء طبيعي إذ ظهرت آثار كل العوامل السيئة التي جعلت جسم الدولة وتركيب المجتمع نخرا .. مضافا إليها نهوض أقوام وجماعات عدة من الأمم المجاورة إلى مرتبة النضج والقوة مع طموحها الدائب للوصول إلى أماكن الخصب والنماء والمناخ الدافئ في المنطقة العربية (١) .

وتاريخنا العربي الحديث والواقع المعاصر المزيف للوطن العربي خير شاهد وأوعظ درس لنا ونحن نخوض معركة المصير العربي الواحد .. أن أولى ضرورات ومتطلبات معركة المصير العربي هي بناء وتوافر القوة العربية الذاتية الشاملة القادرة على العمل الإيجابي من محو تلك الخطوط والمحاجز الوهمية التي تفتت الوطن العربي .. إلى تبديل الحياة السائدة في أغلب البلاد العربية التي ما هي إلا نتاج رجعي إقطاعي قبل احتكاري استعماري .. حيث تعاونت وتآزرت قوى هذه التحديات في تشكيل وتوجيه الحياة في هذه البلاد العربية وفق قوالب صماء جمدت ورسخت على تفكير بعض الحكومات الرجعية العملية .. لتخدم مصالح الاستعمار وتساعد على تركيز قواه وسيطرة نفوذه داخل الوطن العربي وتنفيذ مخططاته الاستعمارية : من فرنسة الجزائر إلى تهويد فلسطين وخلق دولة إسرائيل الخثالة من البشر إلى تأييد سلخ لواء الاسكندرونة من سورية وضمه إلى تركيا ، إلى إثارة النعرات الطائفية والمنهية والرجعية والانفصالية .. إلى استغلال واحتكار ثروات ومقدرات الوطن العربي وبخاصة الثروة البترولية التي تثن تحت وطأة الاحتكار - الامبريالي الاستعماري .. الخ .. الخ وكان دوام هذه الحال من المحال ..

(١) « دراسات في المجتمع العربي » للاساتذة الدكتور بطرس غالي والدكتور خيرى عيسى والدكتور عبد الملك عودة ص ٦٥ .

فقد انبثقت نورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. وكانت بمثابة نقطة
الانطلاق الى بناء القوة الذاتية المعاصرة للامة العربية المتمثلة والمتجسدة
الان في الجمهورية العربية المتحدة وذلك بحكم ما تمثله من الطاقات
الثورية والطاقات النضالية المادية والمعنوية .. والتي تقوم بجهـد
بطولى من أجل اعادة بناء الوطن العربى الجديد الحر والمواطن العربى
الحر .. فى ظل مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى يقوم على دعامتى
من وفرة الانتاج وعدالة التوزيع .

كما ان الجمهورية العربية المتحدة هى طبيعة النضال العربى
التحررى وقاعدته والحصن والقلعة الكبرى للقومية العربية لمساندة
استقلال وسلامة وأمن كل بلد عربى ..

وبحثنا هذا .. دورية اكتشاف لطبيعة التحديات التى تجابه
وتعرقل الامة العربية فى معركة تحقيق الذات .. ثم تسليط أشعة
الضوء على مراكز واحتمالات تجمع القوة الذاتية المعاصرة القادرة
على الصمود فى معركة المصير العربى وتحقيق النصر أمام كل قوى
التحديات المعادية والمعركة لأمتنا العربية .

ففى المبحث الاول نستعرض قوى التحديات المعادية والمعركة
للامة العربية .. والتى تجابه الامة العربية وهى تسعى الى بناء وتوفير
قوتها الذاتية المعاصرة .

وفى المبحث الثانى والثالث نستعرض دور كل من الجمهورية
العربية المتحدة والبتروى العربى - كاحتمالين للقوة الذاتية - فى
توفير القوة العربية الذاتية الشاملة للامة العربية .

المبحث الاول

قوى التحدى

« لقد وصلنا فجأة الى مرحلة من مراحل تاريخنا القومى يلزمنا فيها الجرى السريع .. اذ أن المشى لا يكفيه البتة .. وفى الجرى نعثرون ونقع ولكننا نحاول باستمرار أن ننهض مرة ثانية .. ان طريقنا يشمل المخاطر والمغامرات .. ولكن ليس هناك خيار .. فنحن نعيش فى ثورة .. »

جواهر لال نهرو

« وكم من مرة بأرجحت سفينة الثورة فى ذلك اليم المتلاطم الامواج .. وكان الكفاح طويلا مريرا .. ولكن المثابرة لم تنهت سدى فظلت السفينة ثابتة عاتية تتكسر الامواج على دروعها القوية الواحدة تلو الاخرى ومضت السفينة تشق طريقها قدما .. »

جمال عبد الناصر

الحديث عن القوة العربية الذاتية يتطلب منا - بادئ ذي بدء - أن نقوم بدوريه اكتشاف لطبيعة القوى العاملة في ساحة المعركة العربية والقاء نظرة سريعة فاحصة لقوى التحديات المعادية التي تعرقل الامة العربية في طريقها نحو بناء القوة العربية الذاتية الشاملة .

اد انه منذ أن انصهت الامة العربية لتحوص معرته انصهت العربي التحرري من اجل احرية الشاملة، حرية الوطن العربي وحرية المواطن العربي تهادنت وتصالحت وتآزرت ونضافت قوى التحديات المعادية .. ابحارجه والداخلية .. على اختلاف مذاهبها ومطامعها ومشاربها ، تتحول دون تحقيق وبناء القوة الذاتية الشاملة للامة العربية .. ولتخطيم الطليعة الثورية التحررية التي ما هي الا العدو المشترك لهذه التحديات جميعها .

وقوى التحدى المعادية شيرة متعددة وفي أشكال وأقنعة متلونة منغرة كالحرباء الداهية .. وهى على اختلاف مذاهبها ومطامعها ومشاربها لها هدف مشترك ومصالح مشتركة تتلخص فى وأد الطلائع الثورية ..

وفى هذا البحث نستعرض أهم قوى التحديات الخارجية .. مثل الصراع العالمى .. والاستعمار .. واسرائيل .. وكذلك التحديات الداخلية مثل الرجعية والشيوعية المحلية والتخلف الاقتصادي والاجتماعى .

وثمة كلمة تقول .. « العدو داخل الدار أخطر من عدو خارج الدار » ولعل فى الحركة الرجعية الانفصالية الاخيرة فى سورية خير شاهد على صدق هذه الكلمة .

١ - الصراع العالمى

منذ أن وضعت الحرب العالمية أوزارها .. ظهرت على الصعيد الدولى بوادر الانقسام والصراع بين حلفاء الحرب بعد تخلصهم من العدو المشترك حيث انقسم العالم معسكرين متنافرين متصارعين .

المعسكر الغربى الذى ما هو الا مثلث استعمارى أطرافه الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا وفرنسا .. ويدين بالنظام الرأسمالى ويدعى التحلى بديمقراطية خيالية هى الديمقراطية الغربية .. وبحرية زائفة هى حرية العالم الحر ..

المعسكر الشرقى ويتزعمه الاتحاد السوفيتى والصين السبعية مع سائر الدول الاشتراكية التى تدور فى فلكهما ويدين بالمبدأ الشيوعى وتقوم سياسته الاستعمارية على التوسع المنبسط وتوسيع حدوده لا على شكل مستعمرات وانما على شكل ضم وابتلاع الممتلكات والغنائم والحقاقها كأجزاء لا تتجزأ من جمهوريات الاتحاد السوفيتى وبانتفاء العلاقات المتبادلة بين المعسكرين الشرقى والغربى طبع هذه العلاقات بطابع الحرب الباردة التى ما هى الا : سياسته التونر حتى شفا الحرب « على حد قول دالاس » .

وكلما تعمقنا فى تحليل جوهر الصراع العالمى الدائر بين المعسكرين الغربى والشرقى اليوم والعوامل والبواعث وحقيقة النوايا التى تحدد سياسة كل منهما على الصعيد الدولى نكشفت لنا الحقيقة الواضحة . . . وهى أن الصراع العالمى صراع مصلحى نفعى متستر تحت ستار صراع دبلوماسى ايدىولوجى عقائدى . . . يرتدى كل معسكر مسوح الرهبان ويدعى كل معسكر الدعة والاخلاص والوعظ والارشاد والدعوة الى فيم ومبادئ ومفاهيم معينة لا يلبث كل منهما أن يتنكر لها من أجل عريضة الاستيلاء وشهوة السيطرة .

فالعداوة ؟ اذن افتراض أساسى فى بناء سياسة المعسكرين . . . واحتمال الحرب : افتراض أساس آخر . . . وازاء هذا . . . كيف يمكننا أن نتصور سياسة دولية قوامها التحفز والتهديد والاستعداد لمواجهة أخطار محتملة أو قائمة طبقا لمزاعم الكتلتين ؟ واذا ذاك تصبح جميع المشكلات المعاصرة مجرد محطات أو مناسبات تتخذ لاختبار قدرة المعسكر المعادى معنويا أو قنوات تتسرب منها مشروعات وأساليب تدعى استهداف السلم على حين أن واقعها الاستعداد لمواجهة الحرب وهكذا نعيش فى عالم كثر فيه الاحاديث والخطب عن الانسانية والاخوة العالمية وفى الوقت نفسه ومن المصادر نفسها تنـدفع الاتهامات والتهديدات والسياسات التى تبني على أساس من التحفز والتفكير فى صراع مسلح . . . عالم تموت فيه الملايين من سوء التغذية والأمراض المهلكة . . . على حين تنفق الدول - حتى الصغرى منها - آلاف الملايين من الثروات على التسليح وابتكار الاسلحة المدمرة . . . عالم مهدد بالمجاعة أمام الزيادة الهائلة السريعة فى عدد سكانه ويسعى حامدا للتفكير فى تنمية الموارد الغذائية واستغلال الثورات واهلاكها

بسرغ الطرق في احرب المستقبله (١) .

وفي ظل هذا انصراف العالمى المصلحى النفعى . وفى ظل مسامر
احرب الباردة - مثل اسباق الجبار فى ميدان التسنح والتجارب
الذرية والاحلاف العسكرية والمناورات والمؤامرات داخل اروقه الامم
المتحدة الخ . الخ - تزداد حدة التوتر الدولى ويقف العالم على فوهه
بركان بين موجات التفاؤل والتشاؤم . . بين تبشير السلام ونذر
الحرب .

ومن ثم فمن العبث أن نتحدث عن تحقيق وبناء القوة الذاتيه
للأمة العربية أو أية دولة عربية الا فى ظل ربوع السلام وعدم الانحياز
والتبعية الى أية كتلة من الكتل المتصارعة وخارج مناطق النفوذ حيث
كل معسكر يحاول أن يزج بنا فى خضم هذا الصراع . لكى نكون -
لا أكثر ولا أقل وقودا لهذا الصراع !

ومن هنا فان الحياد الايجابى وعدم الانحياز . . مبدأ آمنا به
وعقيدة اعتنقناها وتعبير عن واقع سياسى تاريخى وتعبير عن واقع
اجتماعى تقدمى .

وفى ظل الحياد الايجابى وعدم الانحياز نحن نقوى ذاتيا كل يوم
وندعم قوتنا الذاتية التى تنبع وتنبثق من أعماقنا عن وعى وادراك
وبصيرة للحرية الشاملة للأرض العربية وللانسان العربى . . يقول
الرئيس :

« لقد كان ايماننا الذى أكدته التجارب أن الشعوب لا تستطيع
أن تبني مستقبلها بالحياة تحت أقدام الدول الكبرى أو بالاستكانة
والخضوع لاسوار مناطق النفوذ . . ولقد وجدنا عقيدة الحياد
الايجابى وعدم الانحياز طريقنا الى طلب انسلام بعد معارك مريرة ضد
الاستعمار بأقنعتة المختلفة ابتداء من الاحتلال السافر الى معاهدات
التحالف الثنائية غير المتكافئة الى الاحلاف العسكرية ومناطق النفوذ»
ومن هنا . . فان من ويلات الحرب التى فى خلال جيل واحد
جلبت على الانسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف . . ومن ارادات
شعبية عميقة على وعى وادراك فى حق تقرير مصيرها بنفسها ومن
آلام الشعوب ونضالها ضد التبعية ، السيطرة الاحنبية ومناطق النفوذ
ومن أجل بناء بشرية متحررة لتنمية الاستقلال الذاتى لكل دولة

(١) من مقال الاستاذ الدكتور يحيى عويس مجلة العلوم

السياسية يوليو - ١٩٦٠ .

وابعاد فرص الاحتكاك والتصادم بين الكتلتين المتصارعتين - من ذلك كله نبعت وانبعثت جذور مبدأ عدم الانحياز .

ولقد كان للجمهورية العربية المتحدة دور كبير في تدعيم سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز حتى لقد أصبحت هذه السياسة مثلاً يحتذى آمن به كثير من الدول الكبيرة والصغيرة وأقامت سياستها الخارجية على ضوء عدم الانحياز الى أية كتلة من الكتل المتصارعة . . . ولقد كان آخر انتصارات الدول غير المنحازة بعد عقد مؤتمر عدم الانحياز في بلجراد عام ١٩٦١ هو اشتراك بعض الدول غير المنحازة ومنها الجمهورية العربية المتحدة في مؤتمر نزع السلاح . .

٢ - الاستعمار

لا نعدو الحقيقة حينما نقول ان الامة العربية عرفت وقاست جميع أشكال ومظاهر ووسائل وأساليب الاستعمار . . الاستعمار القديم والحديث والاستعمار المباشر وغير المباشر . . والاستعمار السافر والمقنع . . والاستعمار السياسي والاستراتيجي والاقتصادي والتبشيري والاستيطاني . . الخ .

والاستعمار كظاهرة أو آفة انسانية يسلب حق الانسان في الحياة الحرة الكريمة وينهب ويستغل ويحتكر ثروات ومقدرات الشعوب ويستوطن أقاليم ليست ملكه . . ويطرد ويشرد ويضطهد ملايين من الشعوب أصحاب الارض والديار . . ويبث النعرات الطائفية والمذهبية والاقليمية والانفصالية وذلك لتفتيت الوحدة الوطنية القومية وتمزيقها أشلاء .

واستعراض عجالة تاريخية من معركة النضال العربي التحرري ضد الاستعمار الغربي في الوطن العربي . . تلقى ضوءاً نستطيع على هدى أشعته معرفة حقيقة نوايا الاستعمار وأقنعتنا التي تتلون وتتشكل وفقاً للظروف كحرباء داهية ووعوده الخلابية التي تشبه السراب أن رأها الظمان ظنّها ماء سائغاً للشاربين ولكنه يفاجأ بالواقع الأليم وبالنكبة التي مابعداً نكبة .

م ٢ - نحو قوة عربية ذاتية اى ١٠ ق

فالاستعمار الغربي ما هو الا مثلث استعماري أطرافه أمريكا وبريطانيا وفرنسا .. يدين بالنظام الرأسمالي ويدعى التحلي بديمقراطية خيالية هي الديمقراطية الغربية وبحرية زائفة هي حرية العالم الحر .

ومن الناحية التاريخيه ساد علاقاتنا مع الغرب جو عدائي تمثل في انتفاضات وثورات الشعب العربي واستمرار كفاحه ونضاله ضد الاستعمار السياسي والاقتصادي . لان الاستعمار هو الشكل الذي تعرف به الحضارة الغربية . وعن نظرة الى الغرب الى الوطن العربي كمجموعة من مواقع استراتيجية وثروات اقتصادية ومناطق نفوذ هامة - قد انبثقت سياسة الغرب نحو الوطن العربي عبر العصور .. هذه السياسة تجلت بعد الحرب العالمية الاولى باشتداد التكاليف والتآمر والاستماتة في ضرب حركة النضال القومي حفظا على مصالحه الاستعمارية أمام موجة المد التحرري المتعاظم من جهة وتنفيذ المخططات العالمية في معركة الصراع العالمي من جهة أخرى (١) .

يؤيد هذا .. الواقع المزيف للوطن العربي بعد الحرب العالمية الاولى وتلك الخطوط والفواصل الوهمية والحواجز والكيانات المصطنعة التي ما أنزل الله بها من سلطان وتلك الحياة السائدة التي ما هي الا نتاج استعماري اقطاعي رجعي حيث تحكمت قوى هذا الثالث البغيض في تشكيل الحياة وفق مصالح الاستعمار وعملائه لكي تخدم بقاء هذا الاستعمار وتساعد على تركيز قواه والتحكم والسيطرة على مقدرات وثروات الشعوب العربية وتنفيذ مخططاته الاستعمارية من فرنسا ضد الجزائر ، الى تهديد فلسطين ، الى سلخ لواء الاسكندرونة ، الى اثاره النعرات الطائفية والمذهبية والرجعية والانفصالية في الوطن العربي .

وبعد الحرب العالمية الثانية تجلت سياسة الاستعمار في الوطن العربي بخلق دولة اسرائيل لتكون رأس جسر وقاعدة له يدبر منها

(١) الحياذ الايجابي ومعركتنا القومية من منشورات حركة القوميين العرب ببلنان .

مؤامراته ومخططاته ضد حركة التحرر العربى المتعاظمة والتي بدأت تهدده بالزوال .

وسعى الاستعمار أيضا الى اقامة القواعد العسكرية وتكوين الاحلاف والمواثيق الدفاعية فى الوطن العربى . . وفرض المعونات المشروطة . . واستعمال الضغط الاقتصادى وذلك كله للزج بالوطن العربى فى دوامة الصراع العالمى ليكون وقودا لهذا الصراع المصلحى

وفى عام ١٩٥٦ تكشف النوايا الاستعمارية على حقيقتها بالعدوان الثلاثى على مصر الذى لم يكن الدافع الاول له هو تأمين شركة قناة السويس فحسب ، بل طعن القومية العربية فى حصنها ومحرابها الاكبر والقضاء على مركز الاشعاع العربى وطلية النضال العربى التحررى فى القاهرة .

وفشل العدوان الثلاثى . . وكان رد الفعل المباشر هو اعلان مبدأ ايزنهاور ليحقق الدوافع التى عجز المعتدون عن تحقيقها وفى الوقت نفسه كان مبدأ نتيجة لتطور سياسة الامبريالية الامريكية التوسعية وفشل أيضا المشروع الاستعمارى الأمريكى حيث رفضه العرب الاحرار وتمثلوا فيه أبشع نيات التآمر والعدوان على القوميه العربية .

وأراد الاستعمار - وما زال يريد - عزل مصر عن العالم العربى ببث النعرات الطائفية والانفصالية وباقامة الاحلاف مثل حلف بغداد أو فكرة مشروع دالاس عام ١٩٥٧ باقامة حلف اسلامى مقدس يتربع على عرشه الملك الرجعى والعميل الاستعمارى الملك سعود وذلك ضد الشيوعية تاركا الاستعمار الغربى ينهب ثروات ومقدرات الوطن العربى وخاصة الثروة البترولية .

وبرغم ضربات القومية العربية المتتالية للاستعمار مثل قيام الجمهورية العربية المتحدة التى كان قيامها بمثابة زلزال فى المنطقة حيث اهتزت فى أعقابه العروش الرجعية مثل العرش السعودى . . والعرش الاردنى واختفى العرش العراقى عندما قامت ثورة « ١٤ تموز ١٩٥٨ » وكان آخر انتصارات القومية العربية هو اعلان القوانين

الاشتراكية في يوليو ١٩٦١ الخ - أقول برغم ضربات القومية العربية المتتالية للاستعمار بجانب موجة المد التحرري التقدمي فان الاستعمار مازال يتسلل الى صفوفنا ويلجأ الى أساليب التخفي والالتواء ويغير أقنعه كلما مزقت مقاومتنا العنيفة قناعه وفضحته .

ولقد كان فشل الانقلاب الاستعماري الرجعي الاخير في لبنان دليلا على أهداف ونوايا النشاط البريطاني الاخير في الشرق الاوسط من هذه التحركات العسكرية الى هذه المناورات والمؤامرات والدعايات والمخططات الاستعمارية والرجعية .

٣ - اسرائيل

ماذا حدث عام ١٩٤٨ ؟

وما حقيقة ما حدث ؟

وهل كان حدثا مفاجئا تمخضت عنه بعض الظروف السياسية السطحية الطارئة ، أو كان ما حدث نتيجة عمل طويل واعداد متواصل مدروس ونتيجة مناورات ومؤامرات ومخططات استعمارية - تلاقت أهدافها ومصالحها مع أهداف ومصالح الصهيونية العالمية لواد الطاقات والطلائع الثورية النامية بعد الحرب العالمية الثانية واقامة دولة في الوطن العربي لبحثالة من البشر غرباء من المثل والمبادئ والقيم والمفاهيم التي يعتز بها بنو البشر وتشريد وطرد شعب من أرضه ودياره ، أو كان ما حدث عام ١٩٤٨ نتيجة الواقع والوجود العربي حين ذاك الواقع والوجود العربي السطحي المتخلف والاضاع العربية البالية التي تتجسد في هذا الضعف والتفسخ والهوان الذي صارت اليه حال الامة العربية نتيجة لتقاعسنا عن تبديل أوضاعنا الداخلية البالية ؟

ليس هنا مجال سرد حقيقة ما حدث وأسباب ما حدث عام ١٩٤٨ تفصيلا واجمالا . . فان هذا حمل تنوء به المراجع الكبيرة ، ولكننا هنا نسلط خيوطا من الضوء على المسرح العربي قبل الحرب العالمية الثانية . . حيث نهتدي على أشعة هذا الضوء الى حقيقة التوقيت

الزمى الذى كان الحافز الحقيقى للاستعمار على الاسراع فى اقامة
اسرائيل .

قبل الحرب العالمية الثانية . . كانت الاندفاعات الوطنية فى
العالم العربى قد أُلقت سلاحها قبل نهاية المعركة وتهادنت مع الاستعمار
وتصالحت معه ولم تكن معاهدة ١٩٣٦ فى مصر الا مثالا لهذه المهادنات
والمصالحات التى استسلمت اليها اندفاعات وطنية طالت عليها المعركة
من ناحية وأغرقتها مغانم الحكم من ناحية أخرى ثم جاءت الحرب
العالمية الثانية بكل ما تجيء به الحروب من مسببات التنبه وأدرك
الاستعمار ان طاقة ثورية عربية تتجمع وانه بعد انتهاء الحرب سوف
تجد هذه الطاقات محالا لاحداث تغييرات كبيرة فى المنطقة قد يكون لها
تأثيرها الخطير على مصالحها فيها ، وخاصة أنه بعد تسريح الجيوش
بانتهاء الحرب قد يجد نفسه عاجزا عن سحقها من هنا وليس من وعد
بلفور فقط .

كان الحافز الحقيقى للاستعمار على الاسراع فى اقامة اسرائيل
هو انه يبنى من ورائها أهدافا ثلاثة (١) .

- ١ - أن تكون حازرا جغرافيا يعوق امتداد الوحدة العربية .
 - ٢ - أن تكون وسط الاجزاء الممزقة للعالم العربى قاعدة يطل
منها تهديده الدائم .
 - ٣ - أن تكون أسفنجة كبيرة تمتص الطاقة الثورية العربية
- ويقول الرئيس جمال عبد الناصر :

« من ناحية اسرائيل نحن نؤمن ان الشر الذى وضع فى قلب
العالم العربى لابد أن يقتلع وان الحق الذى اغتصب من الكل العربى
لابد أن يعود الى أصحابه . . ولكن ذلك يتطلب قوة عربية ذاتية
شاملة . . لهذا وضعت مشكلة اسرائيل فى ختام هذه العوامل من

(١) من مقال الاستاذ حسنين هيكل بجريدة الاهرام ١٢ من
مايو سنة ١٩٦١

سياستنا في علاقاتها بالاطراف غير العربية .. ذلك ان هذه المشكلة تتصل اتصالا وثيقا بأوضاعنا الداخلية لانها كما قلت ترتبط ارتباطا لا انفصال فيه مع قوتنا الذاتية الشاملة .. فاذا ما ذكرنا اننا لا نواجه اسرائيل وحدها وانما نواجه معها من قوى الاستعمار ما لا بد من حسابه اذا ما ذكرنا ذلك أدركنا حدود القوة الذاتية الشاملة اللازمة لنا لتصحيح جريمة ١٩٤٨ .

الرجعية

الاستعمار والرجعية صنوان متلازمان متكاملان . فمنسد أن دخل الاستعمار الوطن العربي وهو يسعى الى خلق فئة رجعية ضعيفة الإرادة وربط مصالحها بمصالحه ومصيرها بمصيره لتكون أداة يتمتر وراءها في تنفيذ مخططاته الاستعمارية الهادفة لمحو معالم الوحدة العربية وواد الطلائع الثورية التحررية . وعن طريقها يتسلل الاستعمار الى صفوف القيادة والحكم . . وعلى يديها يجرد الاستعمار الشعب العربي من حقه الطبيعي في ملكية أرضه ومقدراته وثرواته .

وشاء الاستعمار أن يجعل من الارث شريعة لخلق هذه الطبقة الرجعية بحيث تسمح للقلة الرجعية أن تحتكر وتستغل وتسيطر على ثورة ومقدرات الوطن لتكون ملكا لها وحدها دون الاغلبية صاحبة الحق الاول وذلك كله من أجل تدعيم الطبقة الرجعية التي ماهي الا ركيزة له ولبقائه ولمصالحه .

والرجعية العربية التي ماهي الا ركيزة الاستعمار في الوطن العربي تؤمن بالجمود وتلجأ الى أساليب التخفي والتستر وراء شعارات جوفاء داعية الى الدعة والاخلاص والمهادنة .. لابسة مسوح الرهبان حتى تأتي ساعة الصفر التي تتمناها وتسفر عن وجهها الحقيقي وشعاراتها الكاذبة ونواياها الفادرة .

ومن هنا تلجأ الى العنف وتستخدم السلاح وتحكم بأسلوب الانقلاب .

وان الثورة المضادة التي قامت وفشلت في لبنان أخيرا هي

السلاح التقليدي الذي تلجأ اليه الرجعية دائماً للدفاع والذود عن وجودها ومصالحها عندما تأتي ساعة الصفر التي تحددها وتتمناها للقيام بثورة مضادة من أجل مصالحها ومصالح الاستعمار .

ولعل في الحركة الرجعية الانفصالية الاخيرة في سوريا أكبر دليل مؤكد على أن الاستعمار والرجعية صنوان متلازمان متكاملان وان الرجعية العربية انما تستهدف سلب جماهير الشعب الكادحة حقوقها ومكاسبها وثرواتها من أجل شهوة السيطرة والاستغلال للرجعية والاستعمار .

تؤكد ماسبق بفقرات من بيان الرئيس جمال عبد الناصر الى شعب الجمهورية المتحدة مساء ١٦ اكتوبر ١٩٦١

ان الطبقة الرجعية المستغلة التي كنا نستهدف القضاء على امتيازاتها في معركة الحرية الاجتماعية كانت الحليف الطبيعي للاستعمار الذي كنا نحاربه في معركة الحرية السياسية وصورته الظاهرة كانت كقواعد عسكرية وكمراكز احتلال .

أثبتت التجربة أن الرجعية وهي من ركائز الاستعمار لا تتورع عن الارتكاز عليه بدورها لتسلب النضال الشعبي ثمراته الاجتماعية وأثبتت التجربة أن الرجعية على استعداد للتحالف مع الاستعمار ذاته لتستعيد مراكزها الممتازة التي تتمكن بها من مباشرة استغلالها حتى لو أدى ذلك الى أن تمكن له من التحكم في مقدرات الشعوب التي تنتمي اليها .

لقد غير الاستعمار طريقة تسلله الى أرضنا في حين أننا لم نغير طريقة مهاجمتنا له . . كنا مانزال نقاوم أحلافه العسكرية وقواعده على حين كان هو يتوارى وراء الرجعية وفي قصورها العالية المشيدة من استغلال الجماهير .

وكان لابد لنا أن نقاتل الاستعمار في قصور الرجعية وأن نقاتل الرجعية في أحضان الاستعمار .

لم تكن القوة الرجعية بمثل طيبة الجماهير وسماحتها ونبيلها ولقد رأينا في سورية كيف تكتلت الرأسمالية والاقطاع والانتهازية

مع الاستعمار للقضاء على مكاسب الجماهير ولضرب الثورة الاشتراكية ولاسترداد جميع امتيازاتها ولو بالقوة المسلحة وباراقة الدماء .
ولم تشعر الرجعية بذرة من العرفان تجاه هذه الحرية التي نركت لها من غير استحقاق، بل العكس كان موقفها ، فلقد استعملت هذه الحرية لتضرب الشعب ولتخرب ولتدمر ولتنقلب على أهدافه وخطته وأحلامه وتشعل فيها النار جميعا لاتهتم . . ولا تبالي .

٥ - الشيوعية المحلية

لقد أثبتت الاحداث التي جرت والجارية الآن في الوطن العربي جوهر الشيوعية المحلية كحركة غريبة النمو والطبيعة والتركيب عن حركة القومية العربية الاشتراكية الديمقراطية التقدمية . . اذ أزاحت هذه الاحداث الستار عن الاهداف الهدامة للشيوعية المحلية ومزقت الاقنعة الزائفة لتكشف بوضوح للامة العربية عن قناع الدجل ومسوح الرهبان وحقيقة الدعة والاخلاص للحركة الشيوعية المحلية في الوطن العربي .

فماذا يمكن أن نفسر موقف الشيوعية المحلية من قضايا العربية ومواقفها العدائية قبل الحرب العالمية الثانية تجاه معركة التحرر العربي بمهادنة الاستعمار الفرنسي في سورية ولبنان والمغرب العربي وتجاه قضية الاسكندرونة ومهادنة الاستعمار البريطاني في فلسطين والعراق ومصر ومهاجمة ثورة العراق عام ١٩٤١ ومعارضة جلاء فرنسا عن سورية ولبنان ؟

وكيف يمكن أن نفسر موقف الشيوعية المحلية من قضية فلسطين وموقفها المائع تجاه الحركة الصهيونية حين أيدت دعوتها لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وانشاء دولة اسرائيل ؟

وكيف يمكن أن نفسر موقف الشيوعية المحلية تجاه قيام الجمهورية العربية المتحدة أول نواة للوحدة العربية الشاملة . . ذلك الموقف المتآمر الذي يحارب الوحدة العربية بشراسة وحقد فاقت شراسة وحقد الاستعمار الغربي عدو الوحدة الأول .

وكيف يمكن تفسير موقف الشيوعية المحلية من ثورة ١٩٥٨

فى العراق من اثاره الفتن والنكرات التى اأالت العراق الى معقل
من معاقل القوضى الهمجية وعملیات السعل وحمامات الدم ؟ .

وكيف يمكن تفسير موقف الشيوعية من الثورة الاجتماعية
فى الجمهورية العربية المتحدة . . واصدار بيانهم الذى صاغوه
من أحقادهم بعد صدور القوانين الاشتراكية الجديدة فى الجمهورية
العربية المتحدة . . هذا البيان الذى أساسه التهجم وخطته الافتراء
ومحاولة الخداع تحت ستار أقاويل ترتبط بالمذهب الاشتراكى
فى ظاهرها وتخفى الزور والبهتان فى باطنها ؟

وقد حوى البيان الشيوعى العميل من الابطايل مالا يستغرب
من الذين صاغوه . . فهم عملاء باعوا أنفسهم بضمن بخس وزين لهم
الشيطان أن الاتباع قد يصلون الى هدف رسموه . . حتى أنك
تستشف من سطور بيانهم أنهم يريدون أن يهاجموا الجمهورية
العربية المتحدة حقا على تطورها الاشتراكى العظيم لانهم يريدون
عن طريق هذا الهجوم الوصول الى أهدافهم الخسيسة ولو عن
طريق مناصرة الرجعية والاقطاع والدفاع عن الطبقات التى استغلت
الشعب واستنزف دماؤه وجهده وعرقه (١) .

بماذا يمكن تفسير هذه المواقف المتأمرة وغيرها من المواقف
المعادية والمعركة لحركة القومية العربية التى انطلقت لبناء القوة
العربية الذاتية الشاملة .

ان التفسير الوحيد يتلخص فى تصورى فى ثلاث نقاط :

أولا - ان تجربة ثلاثين عاما من عمل الشيوعيين فى الوطن
العربى تظهر بما لا يقبل الشك أن موقفهم من الوحدة العربية
والقومية العربية كان موقفا تكتيكيا لاموقفا عقائديا . . لان محاولة
تجاوبهم مع قضية الوحدة فى السنوات القلائل الماضية . . وقبل
انقلابهم ثانية عليها لم يكن قط الا تلازما ظرفيا لايمانا ثابتا ذلك
الانطلاق (٢) .

(١) «رد على الشيوعية» من منشورات مصلحة الاستعلامات

ج ٢٠٤ (٢) الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية للاستاذ الحكم

دروزة ص ١٢٠

الحركة القومية والحركة الشيوعية تختلفان من ثم في
الاهداف .

الحركة القومية والحركة الشيوعية تختلفان في طابع العقيدة
الحركة القومية والحركة الشيوعية تختلفان في المخطط
النضالي الذي تسترشد به كل منهما وتخوض المعركة العربية
على أساسه .

ثانيا - يرجع العداء السافر للشيوعية المحلية للقضايا
العربية الى أن الاحزاب الشيوعية المحلية لم تكن حزبا واحدا يخضع
لقيادة عربية شيوعية واحدة . . وانما كانت أحزابا متعددا
ومستقلة وكانت قيادتها تابعة لاحزاب شيوعية أجنبية في ايطاليا
وفرنسا على وجه الخصوص ، بالإضافة الى أن صفوف أعضاء الاحزاب
الشيوعية العربية في البلاد العربية كانوا أجناسا معادية بطبيعتها
للقومية العربية (١) .

ثالثا - الشيوعية المحلية تؤمن بأنها لا تستطيع أن تبشر
بشائها الهدام الا وسط المتناقضات الاجتماعية التي تولد حرب
الطبقات والصراع الدموي الذي يمكنهم من القيام بالانقلاب الدامي
الذي عن طريقه يصلون الى الحكم ، ولهذا لا يعجب الانسان للتحالف
الذي تم في كل الاحيان بين الاستعمار والشيوعية في أكثر من بلد
عربي . . سواء في ذلك الجزائر أم فلسطين أم مشكلة الاسكندرونة
أم العراق ، أم سورية أخيرا .

التخلف

في تصوري أن التخلف الاقتصادي والاجتماعي للأمة العربية
هو التركة أو الارث الاستعماري الذي يتركه الاستعمار وراءه أينما
وضع رحاله .

والارث والتركة الاستعمارية يتمثلان في واقع اقطاعي . .

(١) أسرار الحركة الانفصالية في سورية للاستاذ احمد
مهابة ص ٤٥، ٤٦

رجعى متخلف اقتصاديا أو اجتماعيا • ويثن تحت وطأة الفقر والحرمان والاحتكار والاستغلال لمصلحة الاستعمار الاقتصادى وأعوانه من الرأسماليين الرجعيين دون الاغلبية الشعبية صاحبة الحق الاول فى مقدراتها وثرواتها •

والتخلف الاقتصادى والاجتماعى هوالتحدى الذى استطاعت ثورة ١٩٥٢ أن تجابهه وتتحدى له وتحطمه وهى تسعى بكل طاقاتها وجهدها الى بناء مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى يقوم على دعامين من وفرة وكفاية الانتاج وعدالة التوزيع •

ولقد كانت اشتراكيتنا فى جانبها السلبى تعمل على هدم وتحطيم التخلف الاقتصادى والاجتماعى •• وعلى أنقاض هذا الهدم والتحطيم فان اشتراكيتنا فى جانبها الايجابى تعمل على اقامة مجتمعنا الجديد الذى يقوم على دعامين من الوفرة والعدل •

والآن نلقى نظرة سريعة على الهيكل الاقتصادى والاجتماعى المتخلف فى مصر قبل ثورة ١٩٥٢ •

كان الهيكل الاقتصادى فى الدولة قبل الثورة مبنيا أساسا لخدمة الاستعمار والاقطاع واعوانهما •• فالانتاج كان مصدره الأكبر الزراعة •• والارض الزراعية كانت خاضعة للنظم الاقطاعية والاستغلالية وأهل الريف فريسة للفقر والمرض والجهل وجور الحكام •• وكانت البنوك والمؤسسات المالية الاجنبية تسيطر سيطرة تامة على الاقتصاد وتتقاسم الارباح الكبيرة مع ذوى النفوذ والسلطان والمؤسسات المهيمنة على التجارة الخارجية تكاد تكون مملوكة كلها للاجانب ، ومعظم صادراتنا ووارداتنا وقف على الدول المستعمرة التى احتلت أراضينا حينما طويلا من الزمان وكنا طوال الوقت نتعامل مع هؤلاء المستعمرين الذين ادعوا انهم حلفاؤنا اقتصاديا وثقافيا وفكريا •

بمثل ذلك الهيكل الاقتصادى تعثرنا بالفساد الادارى بالأداة الحكومية والفساد الحزبى • وطغيان المصالح الاجتماعية الفردية فى الدوائر الحاكمة لم يكن ليوذى قط الى احداث نهضة اقتصادية حقيقية •• بل انه ضيع على البلاد عدة فرص طيبة لارساء قواعد التقدم الاقتصادى والاجتماعى وان العرض السريع لتطور الدخل

القومى فى الخمسين سنة الماضية قبل الثورة ليدل على أن دخل الفرد لم يكن يزداد قط فى تلك الفترة لان التقدم الاقتصادى - ان كان ثمة تقدم - لم يكن يفوق الزيادة المطردة فى عدد السكان . . . واذا كان قد حدث فى العقد الاول من القرن أن ازداد الدخل فى مصر زيادة سريعة نسبيا بسبب استغلال مياه خزان اسوان كما حدثت ظاهرة مماثلة فى أعقاب الحربين العالميتين الاولى والثانية بسبب الارتفاع الكبير فى أسعار المحصولات الزراعية المصدرة مما ترتب عليه أن تراكمت لنا أرصدة استرلينية ضخمة كان يمكن استغلالها لارساء قواعد سليمة قوية ينطلق منها الاقتصاد فى طريق النمو - نقول : انه اذا كان قد حدثت كل هذه الفرص المواتية فانها ضاعت وبعثرت الاموال بالادارة الفاسدة وسوء الاستغلال وعدم تحديد أهداف يسعى اليها ولم يقتصر فى كل حالة من هذه الحالات على ضياع الفرصة التى لم تفتنم بل ان الاسراف وسوء التصرف الذى حدث فى السنوات الثمانى وفى فترات الرواج انعكس أثره بعد حلول السنوات العجاف التى تلت ذلك . . . فانتابت البلاد أزمات اقتصادية عنيفة سلمت فيها الاراضى الزراعية الرهون العقارية . . . وكانت المصلحة الاجنبية فيها كبيرة كما استندت الارصدة فى علاج آثار الاسراف والبذخ واستهتار الحكام (١) .

ان الصورة الحقيقية للتخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر قبل الثورة تعكسها الارقام الآتية :

- (١) ١٪ يحصلون على ٥٠٪ من الدخل القومى .
 - (ب) ٣٠ جنيها متوسط دخل الفرد سنويا .
 - (ج) معدل النمو الاقتصادى لايزيد عن ١٪ سنويا فى حين أن الزيادة فى عدد السكان ٢٥ر٠ / ٠ سنويا .
- هذه صورة سريعة للتخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر

(١) من بيان السيد عبد اللطيف البغدادى نائب رئيس الجمهورية العربية عن الخطة الخمسية فى المؤتمر العام للاتحاد القومى سنة ١٩٦٠

إقبل الثورة . . والذي مازال الطابع العام لكثير من البلاد العربية التي تخضع للحكم الرجعي الاستعماري .

وان التخلف الاقتصادي والاجتماعي في حقيقته هو التحدي الذي يجابه أية دولة عربية نالت استقلالها السياسي وتسعى الى تحقيق استقلالها وحريتها الاقتصادية والاجتماعية من أجل بناء قوتها الذاتية القادرة على الصمود أمام جميع قوى التحديدات المعادية المعرقة لها .

ولقد استطاعت ثورة ١٩٥٢ أن تجابه تحدي التخلف الاقتصادي والاجتماعي وأعلنت الثورة الاجتماعية بجانب الثورة السياسية . . وعبأت طاقاتها وامكانياتها من أجل تحطيم هذا التخلف واقامة المجتمع الاشتراكي الذي يقوم على دعامين من وفرة الانتاج وعدالة التوزيع . .

ولقد كانت اشتراكيتنا في جانبها السلبي تعمل على هدم وتحطيم التخلف الاقتصادي والاجتماعي . . وعلى أنقاض هذا الهدم والتحطيم فان اشتراكيتنا في جانبها الايجابي تعمل على اقامة مجتمعنا الجديد الذي يقوم على دعامين من الوفرة والعدل .

وفي مشروع الميثاق الوطني قدم الرئيس جمال عبد الناصر الطريق السليم والوسيلة الوحيدة لمغالبة التخلف فقال في الفصل الثاني (في ضرورة الثورة) :

« لقد أثبتت التجربة وهي مازالت تؤكد كل يوم أن الثورة هي الطريق الوحيد الذي يستطيع النضال العربي أن يعبر عنه من الماضي الى المستقبل » .

فالثورة هي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها الأمة العربية أن تخلص نفسها من الأغلال التي كبلتها ومن الرواسب التي أثقلت كاهلها فان عوامل القهر والاستغلال التي تحكم فيها طويلا ونهبت ثرواتها لن تستسلم بالرضا وانما لابد على القوى الوطنية أن تصرعها وأن تحقق عليها انتصاراً حاسماً ونهائياً .

والثورة هي الوسيلة الوحيدة لمغالبة التخلف الذي أرغمت

عليه الأمة العربية كنتيجة طبيعية للقهر والاستغلال ، فان وسائل العمل التقليدية لم تعد قادرة على أن تطوى مسافة التخلف الذي طال مداه بين الأمة العربية وبين غيرها من الأمم السابقة في التقدم ولا بد والامر كذلك من مواجهة جذرية للأمور تكفل تعبئة جميع الطاقات المعنوية المادية للأمة العربية لتحمل هذه المسئولية .

والثورة بعد ذلك هي الوسيلة الوحيدة لمقابلة التحدي الكبير الذي ينتظر الأمة العربية وغيرها من الأمم التي لم تستكمل نموها ، ذلك التحدي الذي تسببه الاكتشافات العلمية الهائلة التي تساعد على مضاعفة الفوارق ما بين التقدم والتخلف فانها بما توصلت اليه من المعارف تيسر للمتقدمين أن يكونوا أكثر تقدماً وتفرض على الذين تخلفوا أن يكونوا - بالنسبة اليهم - أكثر تخلفاً برغم كل ما قد يبذلونه من جهود طيبة لتعويض ما فاتهم ..

ان الطريق الثوري هو الجسر الوحيد الذي تتمكن به الأمة العربية من الانتقال بين ماكانت فيه وبين ما تتطلع اليه .

البحث الثاني

نحو قوة عربية ذاتية شاملة

القوة العربية الذاتية الشاملة هي المطلب الحقيقي لممارسة النضال العربي التحرري الهادفة لتحرير الوطن العربي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وانسانيا . واقامة المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني الذي يقوم على جناحين من وفرة الانتاج وعدالة التوزيع ..

« وان نظرة سريعة مجردة عن الهوى ومنصفة الى العالم العربي اليوم تؤكد أن فيه احتمالين للقوة الذاتية العربية (١) .

الجمهورية العربية المتحدة - أولا - بكل ما تمثله من الطاقات الثورية التي تقوم الآن بجهد بطولي لتغيير شامل وأساسي يستهدف صنع مستقبل قائم على دعامين من الوفرة والعدل .

« ثم البترول العربي - ثانيا - بكل ما يمثله من امكانيات قادرة على المساهمة العملية في صنع الذاتية العربية .

وبينما نجد الجمهورية العربية المتحدة مندفعة الى الامام بكل جهدها بل بما يزيد أحيانا عن كل جهدها .. فان البترول العربي « الاحتمال الآخر للقوة » - لم يبدأ بعد في تحمل مسئوليته . ومازال يبعثر طاقته هباء على رمال الصحراء .

وفي هذا البحث الثالث نستعرض دور كل من الجمهورية العربية المتحدة .. ودور البترول العربي في بناء وتوفير القوة العربية الذاتية الشاملة للأمة العربية .

(١) من مقال للاستاذ محمد حسنين هيكل - الاهرام في ١٩ مايو عام ١٩٦١

الجمهورية العربية المتحدة والقوة العربية الذاتية الشاملة

لم يكن غريبا ولا بعيدا .. أن تتمثل وتتجسد القوة العربية الذاتية المعاصرة في الجمهورية العربية المتحدة .. وأن تكون جمهوريتنا طليعة النضال العربي التحرري وقاعدته « وأن تسعى الآن وهي تستكمل ملامحها الأساسية » أن تكون المثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه الوطن العربي الحر والمواطن الحر وأن تعيد كتابة التاريخ من جديد .

أقول لم يكن غريبا ولا بعيدا .. أن تقوم جمهوريتنا بهذا الدور البطولي القيادي على الصعيد العربي .. « اذ ما أشبه الليلة بالبارحة » والتاريخ والحقيقة شاهدان ومؤكدان أن جمهوريتنا اليوم هي مصر الأمس صاحبة الدور القيادي النضالي التي أوقفت غزو المغول وردتهم عن بلاد الشام أيام « قطز » في معركة عين جالوت .. وباتحادها مع سورية استطاعت أن تصد الغزو الصليبي وكانت أرضها معقل الأحرار العرب الوافدين عليها اثر اضطهادهم من الأتراك العثمانيين أو الاستعمارين الأوروبيين :

ومن أثر التقدم الطارئ على مصر في مبادرتها الى اقتفاء أثر النهضة العلمية الحديثة في أوروبا منذ أن دقت الحملة الفرنسية بابها أن أصبح لكفاح مصر السياسي ونهضتها الحديثة أثرهما في الأقطار العربية المجاورة التي أخذت الأصوات فيها تردد حقيقة عروبة مصر وأهمية دورها في مساندة الكفاح العربي الذي كان يجري متوازيا مع كفاحها في البلاد العربية الأخرى . كذلك كان لاشتداد الحركة العربية في البلاد الشامية والعراقية وتجاوبها مع مصر في كفاحها الوطني أثر شديد في تجاوب مصر مع تلك البلاد في كفاحها (١)

« ومصر هي التي قامت بالدعوة الى لم شعث البلاد العربية في وحدة جامعة » وتبنت فكرة الجامعة العربية منذ المشاورات والمباحثات التمهيدية حتى اتخذت لها القاهرة قاعدة ومقرا ..

(١) راجع كتاب «محاضرات في المجتمع العربي» للاستاذ الدكتور عز الدين فوده .

ومصر هي التي حملت العبء الأكبر في الدفاع عن القضية الفلسطينية منذ مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ كما حملت العبء الأكبر في المعركة ضد الصهيونية ومازالت تحمل علم النضال ضدها لاجلائها عن الأرض المقدسة (١) .

وجمهورينا اليوم هي مصر الأمس التي حافظت على التراث العربي والإسلامي في عصور المحق والركود والانحطاط ٠٠٠ وكانت مركز إشعاع حضاري وعلمي وثقافي وفكري ..

والحديث عن الدور القيادي للنضالي لمصر الأمس حديث طويل ممتع ليس هنا مجال سرده ولكن ما يهمنا هنا أن نقول : ان مصر الأمس هي جمهوريتنا اليوم التي مازالت تواصل القيام بدورها القيادي النضالي وخاصة منذ قيام ثورة عام ١٩٥٢ التي كانت بمثابة نقطة الانطلاق نحو الحرية العربية الشاملة : حرية الأرض العربية وحرية الإنسان العربي صاحب تلك الأرض . والحرية السياسية والاقتصادية .. والاجتماعية .. والانسانية .

ثورة عام ١٩٥٢

لم تكن ثورة عام ١٩٥٢ عملا آليا تم من تلقاء نفسه نتيجة ظروف سطحية طارئة .. اذ يقول الرئيس جمال عبد الناصر « ان .. قصص كفاح الشعوب ليس فيها فجوات يملؤها الهباء .. وكذلك ليس فيها مفاجآت تفتقر الى الوجود دون مقدمات .. ان كفاح أي شعب جيلا .. بعد جيل .. بناء يرتفع حجرا فوق حجر ، وكما ان كل حجر في البناء يتخذ من الحجر الذي تحته قاعدة يرتكز عليها كذلك الأحداث في قصص كفاح الشعوب كل حدث منها نتيجة لحدث سبقه وهو في الوقت نفسه مقدمة لحدث مازال في ضمير الغيب » .

وعليه .. فان ثورة عام ١٩٥٢ حدث تاريخي فريد في غنى معناه العقائدي على الصعيد العربي .. ذو اتجاه قومي تحرري

(١) المرجع السابق للدكتور عز الدين فوده ص ٩٨ ، ١٠١

وحدوى تقدمى يستهدف احدث تغييرات ثورية وتبديلات جذرية
فى المجتمع العربى من أجل بناء المجتمع الاشتراكى الديمقراطى
التعاونى من أجل بناء الوطن العربى الجديد الحر والموطن العربى
الجديد الحر .

ثورة قومية

ثورة عام ١٩٥٢ ثورة قومية نقطة انطلاقها تنبع وتنبتق عن
القومية العربية أساسا فالقومية العربية هى المنطلق الذى
يبلور واقعها ومرتجأها والذى به تشكل ملامحها وتحقق مبادئها
وأهدافها وتحدد طريقها وخط عملها ليكون الطريق أجلى ما يمكن
وأوضحه الى الوحدة العربية الشاملة ويقول الرئيس :

« تبلورت الثورة العربية وتحددت فى عقيدة القومية العربية
باعتبارها طريقا الى الوحدة العربية .

والقومية العربية ما هى الا واقع العرب التاريخى الاجتماعى
المصلحى المصير الذى انبثق عن تفاعل وامتزاج جميع الروابط
السابقة فى التاريخ العربى الطويل .. تفاعلا مركبا شد العرب فى
وحدة قومية متميزة .

وهذه الروابط هى : اللغة الواحدة والتاريخ الواحد والمصير
الواحد .. والمصلحة الواحدة .

ثورة ديمقراطية

ثورة عام ١٩٥٢ .. ثورة ديمقراطية .. أعادت الثقة الى
الديمقراطية بعد أن انطفا بريقها وفقدت معناها الحقيقى ومدلولها
واكتوت بلظى صراع ومساومات واحقاد الأحزاب السياسية قبل
الثورة . وكان الشعب صاحب الديمقراطية والمشرع الأصلى
والحقيقى كان وقود هذا الصراع وهذه المساومات والاحقاد .

ثورة عام ١٩٥٢ ثورة ديمقراطية .. قدرت الديمقراطية حق

قدرها وكانت الديمقراطية السياسية بجانب الديمقراطية الاجتماعية .. وذلك لتحقيق الحرية السياسية والحرية الاجتماعية .

ثورة ديمقراطية .. كانت على أوسع قاعدة شعبية جماهيرية وهي الاتحاد القومي .

« والاتحاد القومي .. تنظيم يوفر الاطار والمجال للعمل الاقتصادي وذلك بحشد أكبر طاقة دافعة نحو زيادة الانتاج وتأكيد التعبئة القائمة على الدعوة وعلى المشاركة الواعية وفي محاولة توسيع قاعدة الثورة الوطنية » .

« والاتحاد القومي تنظيم يوفر الاطار والمجال للتغير الاجتماعي في نطاق السلامة الوطنية وذلك بأن يمنع هذا الصراع الذي لا مفر منه ضمانا من الوحدة الوطنية من أجل ازالة المتناقضات وتذويب الفوارق بين الطبقات ..

« والاتحاد القومي كذلك تنظيم يوفر الاطار والمجال للامن القومي بأن يجمع القوى الشعبية القادرة على صد كل غارات الكتل الدولية في غير ما عزلة عن المجتمع الدولي وذلك حتى لا ينتهي أمر الوطن اما بالقسمة بين نفوذ هذه الكتل واما بارغامه على الدخول كرها في أفلاكها وخاصة اذا ما حاولت هذه الكتل أن تستغل جو صراع الطبقات فيه (١) » .

ولقد دلت الحركة الرجعية الانفصالية في سورية .. على أن الرجعية استطاعت أن تتسلل الى صفوف القيادة . فشلت فاعلية الاتحاد القومي الثورية وحولته الى مجرد واجهة تنظيمية لا تحركها قوى الجماهير ومطالبها الحقيقية .

ومن هنا كان واجبا ولازما علينا إعادة التنظيم الشعبى على النحو التالى ..

١ - اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى .. وعملها تنظيمى وعليها أن تدرس على أوسع نطاق ممكن وأعمقه ما يلى :-

(١) من مقال الاستاذ محمد حسنين هيكل بالاهرام فى ٢١ من

يوليو عام ١٩٦١

٢٢٩ من هي الثورة الشعبية الحقيقية والأصلية التي تطلب الثورة ؟

(ب) كيف يمكن عقد مؤتمر يمثل هذه القوى الشعبية تمثيلا رأسيا أى على أساس المهن والطوائف والتيارات الفكرية .

(ج) كيف يمكن أن تجرى عملية الانتخاب الحر لاختيار ممثلين يعبرون عن هذه القوى الشعبية ويمثلونها في المؤتمر الوطني وكيف يمكن أن تتم هذه العملية في المهلة الزمنية المحدودة .

٢ - المؤتمر الوطني للقوى الشعبية ويتشكل على أساس الانتخابات في الطوائف والمهن الحرة بحيث يمثل كل التيارات الفكرية وتكون مهمته ان يناقش تقرير الرئيس جمال عبد الناصر ويبلور نتيجة المناقشة ، ميثاق العمل الوطني ليكون الالتزام به ونظيره أساس المعركة الانتخابية .

٣ - المؤتمر العام للاتحاد القومي : يتكون بالانتخاب من قاعدة اللجان التأسيسية المنتخبة من الشعب ويكون السلطة الشعبية العليا في البلاد ويرسم طريقة وضع الدستور الدائم للجمهورية المتحدة ويتضمن الدستور طريقة انتخاب المجلس النيابي الذي يصبح هو السلطة التشريعية .

ثورة تحريرية

ثورة ١٩٥٢ ثورة تحريرية . . تخوض معركة النضال العربي التحرري من أجل تحقيق الحرية الشاملة حرية الأرض العربية وحرية الانسان العربي صاحب هذه الأرض .

وثورتنا وهي تسعى الى تحقيق حرية الوطن وحرية الوطن انما هي في الوقت نفسه تساند حرية كل بلد عربي وحرية كل بلد بناضل من أجل الحرية .

اذ ثورتنا وجمهوريتنا طليعة للحرية وقاعدة للحرية يؤكد ذلك قول الرئيس :-

ان الحرية بطبيعتها لا يمكن أن تكون اثرة اقليمية ولهذا فان الشعب الحر لا يملك الا أن ينتصر للحرية في كل مكان .

ومن ناحية أخرى فإن الحرية بمنطقها الزمني تدرك أن نجاحها في مكان إنما هو أمن وتدعيم لنجاحها في مكان آخر .

ثورية وحدوية

ثورة ١٩٥٢ ثورة وحدوية تؤمن بحتمية الوحدة العربية من المحيط الاطلسي الى الخليج الفارسي . . . وتستهدف تغيير الخريطة السياسية المزيفة للوطن العربي ومسح الخطوط والفواصل الوهمية وازالة الحواجز المصطنعة بين الوطن العربي .

ويقول الرئيس عن ثورة ١٩٥٢ :

« انها ثورة عربية في كل قطر عربي تحفره الى تخطي الأسوار وإلى كسر الحواجز سواء منها الأسوار والحواجز المادية التي تتمثل في الحدود التي اصطنعها الدخيل الغاصب أو الأسوار والحواجز المعنوية التي تتمثل في الشكوك التي زرع بذورها الدخيل الغاصب نفسه . »

ويحدد الرئيس مبادئ الوحدة والاسس التي تقوم عليها بما يلي :

أولا - أن يكون الاختيار الحر المستقل عن طريق أي شعب من شعوب الأمة العربية .

ثانيا - أن يكون هذا الشعب العربي قد استكمل مقومات وحدته الوطنية داخل حدوده القائمة قبل أن يدخل في ارتباط أوسع مدى من هذه الحدود .

ثالثا - أن يكون هذا الشعب قد عقد اجماعه على طلب الوحدة وعلى تثبيت من يقينه رغبة فيها .

وعلى هذه الاسس فاننا دعاء وحدة ونؤمن أن الوحدة ينبغي أن تكون تطورا ويجب ألا تتم بالانقلاب .

وعلى هذه الاسس فاننا نناصر كل وحدة عربية على أي مدى

والى أية درجة يتفق عليها اجماع أى شعب عربى مع أى شعب عربى آخر ايمانا صادقا منا بأن الوحدة العربية هى أعلى مراحلها الوطنية العربية وأعز غاياتها فى مفتاحها الى القوة .. مفتاحها الى الحياة .

ولهذا فان ثورة ١٩٥٢ ثورة وحدوية تؤمن بحتمية الوحدة بين الدول العربية وبذلك تكون قد قضت على المخططات الاستعمارية والنعرات الاقليمية .. فرعونية مصر .. وفينيقية لبنان .. وافريقية السودان .. وبربرية شمالى افريقية .. الخ . الخ .

ثورة سياسية وثورة اجتماعية

ثورة ١٩٥٢ .. ثورة سياسية وثورة اجتماعية .. وهاتان الثورتان تسيران معا جنباً الى جنب وتتجهان بتفاعلهما المستمر الى بناء القوة الذاتية للجمهورية العربية المتحدة ومن ثم للأمة العربية فالثورة السياسية قامت من أجل تجديد وتغيير الخريطة السياسية المزيفة للوطن العربى ؛ لتزيل هذه الخطوط والفواصل والحواجز المصطنعة التى تفتت الوطن العربى وتمزقه أشلاء :

ويقول الرئيس جمال عبد الناصر :

« برغم العقبات المادية والفكرية وبرغم القوى المضادة للثورة فى الداخل والخارج .. ورغم الاستعمار وأدواته وأعوانه قد مشى شعبنا شوطا طويلا فى اتجاه الثورة السياسية ، لقد انتزعنا الجلاء من أرضنا الطاهرة .. وتصدينا للأحلاف العسكرية الأجنبية ولم نخضع لمناطق النفوذ .. وكسرنا احتكار السلاح الذى فرض علينا .. ولم يفرض على عدونا .. وحررنا إرادتنا الدولية ووضعنا كل امكانياتنا مع غيرنا من الشعوب الناهضة للاستعمار والداعية الى السلام .. وسرنا بهذه الإرادة الدولية الحرة على طريق طويل قادم من باندونج الى الأمم المتحدة الى الدار البيضاء الى بلجراد ثم استعدنا شخصيتنا العربية الأصيلة بعد أن حاولت قوى مختلفة أن تحجب الرؤية الصافية عنا بالزيف والضلال . وانحزنا بكل قوانا الى النضال الشعبى العربى فى كل أرض عربية ارتفع فوقها للواء بنضال عربى حر أصيل .

تم كانت استعادة قناة السويس هي ذروة مواجهتنا لمعركة الحرية السياسية وكانت موقعتنا الفاصلة في هذه المعركة ، وكان النصر للقوى الشعبية في موقعة السويس الفاصلة .

وإذا كانت الثورة السياسية قامت من أجل تحديد وتغيير الخريطة السياسية المزيفة للوطن العربي - فان الثورة الاجتماعية أيضا - قامت من أجل تجديد وتغيير الخريطة الاجتماعية المزيفة للمجتمع العربي باحداث تغييرات ثورية وجذرية في المجتمع العربي وذلك كله من أجل بناء الوطن العربي الحر والمواطن العربي الحر . . حرية سياسية واقتصادية واجتماعية وانسانية . .

والحديث بالأرقام هو حديث الحقائق الذي يمثل صورة حقيقية للعمل الايجابي الحقيقي الذي أنجزته الثورة ويبين القدرة الايجابية المتحررة على مواجهة التخلف برغم الصعاب والظروف السياسية والاجتماعية وقوى التحدى التي كانت تعرقل الثورة .

وأمامي الآن بيان الرئيس جمال عبد الناصر الى شعب الجمهورية العربية المتحدة الذي ألقاه في مساء ١٦ من أكتوبر سنة ١٩٦١ . . استأذن القارئ في نقل الصورة الرقمية التي وصفها الرئيس أمام الشعب العربي لتكون مرآة صادقة تعكس موضع أقدامنا في طريق التقدم . . في طريق بناء قوتنا الذاتية التي تضاعف الدخل القومي :

كان الدخل القومي سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ هو ٨٠٦ ملايين جنيه في السنة وأصبح سنة ١٩٦٠ - ١٩٦١ السنة المالية التي انتهت فعلا هو ١٣٩٧ مليون جنيه . . وتقديره المتوقع لسنة ١٩٦١ - ١٩٦٢ أى السنة المالية الحالية ١٥٥٦ مليون جنيه في السنة ، أى أن الدخل القومي تضاعف تقريبا خلال سنوات الثورة :

كانت ميزانية الدولة للسنة المالية ١٩٥٢ - ١٩٥٣ مبلغ ٢٢٨ مليون جنيه وأصبحت الميزانية للسنة المالية ١٩٦١ - ١٩٦٢ مبلغ ٨٢٥ مليون جنيه .

نفقات الأمن القومي

وإذا بدأت بجانب الخدمات الحكومية فلقد كنا على سبيل المثال نصرف ٤١ مليون جنيه في السنة على الأمن القومي يدخل فيه الدفاع بطبيعة الحال ونحن الآن نصرف على الأمن القومي ١١٦ مليون جنيه ومع ذلك ففي سنة الثورة كان هذا المبلغ يمثل ٢٥ / من الميزانية تقريبا .

وفي هذا العام لا تزيد نسبة هذا المبلغ على ١٤ / من الميزانية تقريبا .

هذا مع ملاحظة التوسع الهائل في قواتنا المسلحة والتغيير الأساسي الذي حدث في نوع سلاحها وفي كفايتها المقاتلة .

مدرستان كل ٣ أيام

وكنا نصرف على خدمات التعليم والثقافة ٣٣ مليون جنيه في السنة ونحن نصرف عليها الآن ٧٩ مليون جنيه في السنة ونرفع رؤوسنا بأن برنامجنا يمضي بسرعة انشاء مدرستين جديدتين كل ثلاثة أيام .

٢٣ مليون جنيه للخدمات الصحية

وكنا نصرف على الخدمات الصحية ١٠ ملايين جنيه في السنة ونحن نصرف الآن عليها ٢٣ مليون جنيه في السنة .

٩ ملايين للخدمات الاجتماعية والدينية

وكنا نصرف على الخدمات الاجتماعية والدينية ٤ ملايين في السنة ونحن نصرف عليها الآن ٩ ملايين جنيه في السنة .

٢٨ مليون جنيه للمرافق العامة

وكنا نصرف على خدمات المرافق العامة ٧ ملايين من الجنيهات في السنة ونحن نصرف عليها الآن ٢٨ مليون جنيه في السنة .

الزراعة

وكنّا بصرف على الخدمات الزراعية وخدمات الري ٥ ملايين من الجنيهات فى السنة ونحن نصرف عليها الآن ٢٣ مليون جنيه فى السنة .

٩١ مليون لباقي الخدمات

وكنّا بصرف على باقى نواحي الخدمات ٨ ملايين من الجنيهات فى السنة ونحن نصرف عليها الآن ٩١ مليون جنيه فى السنة .

محصول القطن

ولو تركت ذلك الى الناحية الانتاجية وبدأت بالزراعة مثلاً - ولا بد لنا أن نلاحظ أن التوسع الزراعى بطبيعته محدود برقعة الأرض وبالظروف الجوية - لوجدنا مثلاً أن متوسط انتاج الفدان من القطن سنة ١٩٥٢ كان ٤٦ ر من القنطار فأصبح ٢٥ ر من القنطار سنة ١٩٦٠

ارتفاع انتاج القمح والأرز

فاذا انتقلت من القطن الى غيره من المحصولات وجدت أن انتاج القمح قد ارتفع بما نسبته ٣٢ فى المائة ، وانتاج الشعير قد ارتفع بما نسبته ٢٢ فى المائة ، وانتاج الأرز قد ارتفع الى ٥٣ فى المائة هذا عدا التوسع الكبير فى الحضر والفواكه والانتاج الحيوانى .

التوسع فى استصلاح الأراضي

ولو استعرضت بعد ذلك ما أنجزناه فى ناحية استصلاح الأرض أى توسيع الرقعة الزراعية واستخلاص أرض خضراء جديدة من برائن الصحراء لوجدت أن كل ما كان يستصلح من الأرض فى مصر فى السنوات العشرين السابقة لم يزد متوسطه السنوى

- يدخل فى ذلك جهد الدولة أى وزارة الزراعة ومصلحة الأملاك والمجهود الفردى - على ٥٣٠٠ فدان فى السنة ٠٠ وفى سنة ١٩٥٩ وحدها مثلا وصل ما استصلح من الأرض الجديدة الى ٤٦ ألفا و ٣٠٥ فدادين قفز سنة ١٩٦٠ ليضيف ٨١ ألف فدان جديدة ، ثم قفز سنة ٦١ التى يجرى العمل فيها الآن ليضيف ألفين ومائة ألف من الأفدنة الجديدة ٠٠ وطبقا للخطة وعلى أساس الاستفادة من مشروع السد العالى العظيم سوف يقفز التوسع فى الأرض ليضيف كل سنة ما يصل الى ٢٠٠ ألف فدان سنويا .

زيادة حجم التسليف الزراعى

وكان حجم التسليف الزراعى سنة ١٩٥٢ هو ١٥ مليون جنيه سنويا يستأثر كبار الملاك بالجزء الأكبر منه ٠٠ وهذا العام زاد التسليف الزراعى عن ٣٥ مليون جنيه ولست أذكر هنا التسهيلات الخاصة المترتبة على سوء محصول القطن هذا العام والتى وصلت قيمتها الى ٣٠ مليون جنيه .

١٦٢ ألف أسرة أصبحوا ملاكا

ولقد تضاعف تقريبا عدد الجمعيات التعاونية الزراعية وانضمت ١٦٢ ألف أسرة الى ملاك الأرض بفضل ما تم توزيعه بمقتضى قانون الاصلاح الزراعى الاول ، تملك بالفعل ٨٥٢ر ٤٣٠ فدانا ومازال باقيا تحت التوزيع من القانون الاول ٢٩ ألف فدان تجرى الآن تقوية كفايتها الانتاجية قبل توزيعها وسوف تملكها ٤٠ ألف أسرة .

كذلك بمقتضى قانون الاصلاح الزراعى الجديد وبمقتضى قرار توزيع اراضى الاوقاف سوف تتحول ٦٠ ألف أسرة الى التمتع بحق الملكية الزراعية للأرض ٠٠٠ هذا عدا الملاك الجدد للأراضى الجديدة التى تجرى اضافتها بجميع مشروعات استصلاح الاراضى الجديدة والسد العالى بينها بطبيعة الحال .

١٠ ملايين سيصبحون ملاكا

ولو أخذنا معدل خمسة أفراد للأسرة الواحدة لوجدنا أن مليوناً من المواطنين أصبحوا ملاكا بمقتضى إعادة توزيع الأرض وأن عدة ملايين من المواطنين سوف يصبحون ملاكا بما سوف يستجد على الرقعة الخضراء من الأرض المستخلصة من برائن الصحراء القاحلة .

٧٢٠ مليون جنيه للصناعة

وأترك الزراعة الى الصناعة

لقد كان ما وجه الى الاستثمار الصناعى كله سنة ١٩٥٢ فى مصر هو مبلغ مليونى و ١٥٠ ألف جنيه ، وفى العام الماضى وحده وجهنا الى الاستثمار الصناعى والكهربى ٨٨ مليون جنيه ، ومنذ سنة ١٩٥٧ بدأ التخطيط للصناعة اشتملت على برنامجين يتكلفان ٧٢ مليون جنيه . تم تنفيذ الأول منهما والآخر يستكمل تنفيذه سنة ١٩٦٤/١٩٦٥ .

وما تم تنفيذه من هذه الخطة حتى الآن على صورة مصانع جديدة تمت اقامتها بالفعل هو ٣٥٠ مليون جنيه والباقى كله تحت التنفيذ . وكثير من هذا الباقى تم التعاقد عليه .

ولقد كانت قيمة الانتاج الصناعى سنة ١٩٥٢ فى مصر ٣١٣ مليون جنيه ووصلت قيمة الانتاج الصناعى سنة ١٩٦٠ الى ٦٩٣ مليون جنيه وتصل هذا العام الى ٧٢٠ مليون جنيه .

الانتاج الصناعى

وأنا هنا أيتها الاخوة أتكلم عن الانتاج الصناعى البحت لا أدخل فيه مثلاً عمليات حلج القطن ولا أعمال المخابز وغيرها من العمليات المشابهة لها وإذا أخذت البترول مثلاً سنة ١٩٥٢ فلقد كان انتاجنا منه مليونى جنيه و ٣٧٠ ألف طن وهذا العام وصل انتاج البترول

عندنا الى أربعة ملايين من الأطنان . واذا أخذت الغزل والنسيج فـلقد كان انتاجنا منهما سنة ١٩٥٢ هو ٥٥ ألفا و ٧٠٠ طن ووصل هذا العام الى ١١٥ ألف طن وكانت طاقتها الكهربائية قيمتها ٦٩٢ مليون كيلووات ساعة سنة ١٩٥٢ .

وفي هذا العام أصبحت طاقتنا الكهربائية ٤٨٠٠ مليون كيلووات ساعة أى بزيادة قدرها ٤٤٨ فى المائة يدخل فى هذا بالطبع مشروع كهربة خزان أسوان الذى تم تنفيذه وانتهى ولا تدخل فيه بالطبع كهربا السد العالى التى ستحدث ثورة صناعية فى وطننا .

ولعل أبرز الظواهر فى الانتاج الصناعى هى اتجاهه الى الارتفاع السريع واستجابة الانتاج فيه - بطبيعته - للعمل المنظم والتخطيط الدقيق .

ولكى أشرح ذلك فانه فى سنة واحدة ما بين سنة ١٩٥٩ وسنة ١٩٦٠ زاد الانتاج فى الغزل والنسيج وحدهما بما قيمته ٤٧ مليون جنيه وما بين سنة ١٩٦٠ الى عام ١٩٦١ زاد انتاجنا من السماد بما يصل الى ٣٠٠ ألف طن .

فاذا أضفت الى ذلك ما استجد من أنواع الانتاج الصناعى وبخاصة فى الصناعة الثقيلة كصناعات الحديد والصلب ومحركات الديزل وعربات السكك الحديدية وسيارات اللورى والاتوبيس والركوب كذلك ما استجد من الصناعات الخفيفة مثل صناعات الدراجات والسخانات والبوتاجاز والأفران والثلاجات الكهربائية والكابلات وأدوات الكهرباء بأنواعها المختلفة والحزف والصينى والصناعات الغذائية - اكتملت ملامح صورة تبشر بالأمل فى تقدم صناعى واسع الحطى .

كهربة خزان أسوان

ثم اقول كلمة سريعة فى ذلك الشأن :

فى سنة ١٩٥٢ كانت كهربة خزان أسوان تبدو حلمًا صعب التحقيق . . وكهربة خزان أسوان الآن أمر واقع .

وفى سنة ١٩٥٢ لم يكن السد العالى على فكر أى منا على
الاطلاق كان سرايا بعيدا يلوح فى صحراء الوهم ..

وفى هذا العام يجرى العمل بكل قوة فى هذا المشروع الذى
يعتبر من أعظم المشروعات الانتاجية فى العالم كله والذى تزيد تكاليفه
عن ٣٠٠ مليون جنيه .

هذا تقدير سريع لآمالنا ولقدرتنا على تحقيقها .

زيادة دخل الفرد

أيها المواطنون :

ان ذلك كله كان لابد من وصفه فى اطار شامل يحقق التنمية
لهذا تم وضع خطة مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات وتستهدف
هذه الخطة بالنسبة لمصر بوجيه استثمارات قدرها ١٦٩٧ مليوناً من
الجنيهاً ، فى السنوات الخمس الأولى منها يزيد الدخل القومى فيها
بما متوسطه ١٠٣ ملايين جنيه فى السنة ليتضاعف تماماً فى نهاية
الخطة وليصبح متوسط دخل الفرد الذى كان يقدر بحوالى ٣٠ جنيهاً
فى السنة والذى هو الآن ٥٢ جنيهاً فى السنة ليصل الى ما يزيد
على ٨٠ جنيهاً فى السنة مع اعتبار الزيادة فى عدد السكان .

الاسراع بالتنمية

ولست أخفى عليكم الان .. أنه بات محتماً أن نسرع خطانا
على طريقة التنمية أكثر من هذا الفدر .. ولقد طلبت الى الأجهزة
المسئولة عن التنمية أن تدرس امكانية مضاعفة الدخل القومى فى
أقل من عشر سنوات ولا بد لنا أن نسير وأن نبني .

وما من جدال فى أن الاطار الاشتراكى للمجتمع الان يساعدنا
على دفع عجلة الانتاج بسرعة أكثر مما قدرنا ونحن نضع الخطة
لقد أصبح لدينا الان قطاع عام فى الاقتصاد قوى يملكه الشعب .

بمجموعه وهو فوق اثره الاجتماعى طليعة قادرة على فتح الطريق أمام التنمية الاقتصادية فى جميع المجالات ..

اننا لنفخر أن النواة الاولى لهذا القطاع العام كانت جميع المؤسسات الاحتكارية البريطانية والفرنسية والبلجيكية .. ثم أضفنا الى هذا القطاع ما قمنا نحن بإنشائه طبقا لبرامج التنمية خلال السنين الأخيرة ، ثم استكمل هذا القطاع قوته بمانم تأميمه أخيرا بمقتضى مجموعة القوانين الاشتراكية التى صدرت فى شهر يوليو من هذا العام (١٩٦١)

وبهذا أصبحت القوة العاملة لهذا القطاع تمثل رأس مال لا يقل عن ألف مليون جنيه فى حين أن الطاقة المتحركة لرأس مال هذا القطاع تزيد عن هذا المبلغ عدة مرات بقوة اندفاع متزايدة قادرة على تحريك عجلات التطوير فى الزراعة وفى الصناعة بوجه خاص .

دور القوانين الاشتراكية

فى تدعيم القوة الناتية للجمهورية العربية

ويستطرد الرئيس فى بيانه التاريخى فيقول :

ثم كانت الاجراءات الحاسمة فى يوليو سنة ١٩٦١ بصـلـور مجموعة القوانين الاشتراكية التى أعطت الطبقات العاملة موضع قوة تستطيع منه استخلاص حقوقها .

اولا : حددنا ملكية الأرض بما لا يزيد على مائة فدان ولا تزيد حيازة المستأجر على خمسين فدانا .. وهذا قدر كاف يحفظ حق الملكية الفردية ولكنه يدفع شرور احتكار الأرض ويفتح الفرصة فيها أمام عدد جديد من الاجراء ليتمتعوا بنعمة الملكية ، هذا الى جانب ما يمكن أن يوفره اصلاح الاراضى الجديدة .. عن طريق العمل من أجل الكفاية من فرص لتوسيع قاعدة الملكية من تدعيمها بالتعاون الزراعى .

ثانيا : أممنا ملكية الصناعات الثقيلة لتكون كلها وليكون التوسع الجديد فيها ملكا للشعب .

وكذلك فعلنا بالنسبة للاستيراد والتصدير لكيلا يكون الانتاج الوطنى ألعوبة فى يد المضاربين الفردية التى لا تسعى لغير زيادة ارباحها على حساب المجموع واختزان أموالها مهربة فى البنوك الأجنبية .

وكذلك فعلنا بالبنوك ليكون المال خادما لمصالح الشعب لاسيذا لها .

وبالنسبة للصناعات المتوسطة حولنا ملكية النصف فى بعضها الى الشعب وفى البعض الآخر حددنا أقصى ما يملكه أى فرد فيها بعشرة آلاف جنيه .

وبالنسبة للمهن والحرف وبالنسبة للصناعات الخفيفة وبالنسبة لآعمال التجارة الداخلية .. وبالنسبة لهذه الاعمال كلها وغيرها وهى جميعا مما لا يمكن معه ايجاد قوة قادرة على الاستغلال والاحتكار - فلقد تركنا المجال حرا لا قيد عليه .

ثالثا : بالنسبة للعمال فلقد كان لابد من تكريم الطبقة العاملة ووضعها فى مكانها الحقيقى الذى تستطيع منه متمتعة بكل حقوقها أن تؤدى دورها العظيم فى عملية التصدير .

لذلك تقرر أن يدخل العمال والموظفون فى كل منشأة الى مجلس ادارتها عن طريق عضوين يجرى انتخابهما بالاقتراع السرى العام على ألا يزيد عدد أعضاء مجلس الادارة على سبعة لتكون قوة العمال فيه فعالة ومؤثرة .

كذلك تقرر أن يكون لهؤلاء العمال والموظفين بنص القانون حق فى أرباح منشآتهم تحدد بربع هذه الأرباح .
وبذلك لم تهدر الملكية الفردية وانما اتسع نطاقها .

ولم تعد الملكية هى حق رأس المال وحده انما الملكية أصبحت حق العمل الى جانب حق رأس المال .

رابعاً : جرت المحاولة لوضع حدود للدخول العليا حتى يتمكن من أن يضع حدا أدنى لدخل كل مواطن يستطيع به أن يؤمن حقه في الكرامة الانسانية :

اصبحت المراتب في المؤسسات محدودة بما لا يزيد على خمسة آلاف جنيه في السنة ، ولقد كان هناك من يصل دخولهم الى خمسمائة ألف جنيه في السنة .

وارتفعت شرائح اصرائب الصناعيه لكي يصل الى ٩٠٪ بعد أن يصل الدخل الى عشرة آلاف جنيه في اسنه عن طريق المرتبات أو مصادر الدخل الاخرى . . وهذا حق يسلم به العالم المحضر كله .

وبصرف النظر عن أي اعتبار آخر فسدت الصور سيما يتعلق بوطننا أن شريعة الله شريعة العدل ترصى أن يحصل على خمسمائة ألف جنيه في السنة على حين أن متوسط الدخل العام في الوطن كله للفرد لا يزيد الا قليلا عن خمسين جنيها في السنة .

ومن بيان الرئيس جمال عبد الناصر لشعب الجمهوريه العربيه المتحده في ١٦ من اكتوبر ١٩٦١ ونصويره لامالنا وقدرتنا الحقيقيه على تحقيقها . . ثم صدور التشريعات الاشتراكية في يوليو ١٩٦١ يتضح لنا أن صدور هذه القوانين الاشتراكية كان بمثابة ثورة حقيقية واقعة استهدفت احداث تغييرات تورية جذرية في المجتمع العربي من أجل اقامة مجتمعنا الجديد . . المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني الذي يقوم على دعامتين من وفرة الانتاج وعدالة التوزيع .

فمن أجل تحرير العامل من عبودية الآلة

ومن أجل تحرير الفلاح من اقطاعية الأرض

ومن أجل تحرير الوطن والمواطن العربي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وانسانيا صدرت القوانين الثورية الاشتراكية .

وأكثر من هذا . . فان صدور هذه القوانين الاشتراكية انما هو تحقيق لشريعة العدل التي ما هي الا شريعة الله التي لاتسمح بأن تكون الأرض الزراعية في وطننا . . ملكا وحكرا للقلة دون الكثرة . .

ولم تكن شريعة العدل شريعة الله تسمح للقلة من أبناء الوطن أن تحتكر ثروات ومقدرات الوطن وحدها

ولم تكن شريعة العدل شريعة الله تسمح أن يكون الغنى أو الفقر أو المرض أو العلم أو الجهل أو الكرامة الانسانية أو الذل الانساني ارثا .

ومن هنا كانت الاجراءات الاشتراكية التى صدرت فى يوليو ثورة انسانية اجتماعية قامت على أساسين :

أساس وطنى يستلهم احتياجات ومطالب جماهير الشعب الكادحة ويستمد من أعماق هذه الجماهير قوة القانون .

أساس انساني ينبع من الواقع الانساني للقومية العربية والثورة العربية حيث لايرضى بالمصادرة وانما يضمن للمجموع حقه مقابل تعويض عادل .

وأخيرا فان القوانين الاشتراكية باستهدافها تحرير الوطن وتحرير المواطن اجتماعيا واقتصاديا وانسانيا انما هى فى الوقت نفسه تدعيم لبناء قوتنا الذاتية هنا فى الجمهورية العربية المتحدة . . ومن ثم للامة العربية .

ثورة ١٩٥٢ فى عامها العاشر

استعرضت فيما سبق أزهى جوانب ثورة ١٩٥٢ .

وهاهى ذى ثورة ١٩٥٢ فى عامها العاشر ومازالت فى قمة اندفاعها الثورى المقتحم النشيط . . ومازال العمل الثورى العربى والمسد الثورى العربى متمثلين ومتجسدين فى الجمهورية العربية المتحدة يسيران فى طريق الزحف الثورى نحو الامل الثورى المنشود ، والحرية الشاملة . . حرية الارض العربية وحرية الانسان العربى صاحب هذه الارض وسيدها .

ولقد شاء القدر أن يلبس الجمهورية العربية المتحدة ثوب

م ٤ نحو قوة عربية ذاتية

الطليعة القيادية التحررية الثورية على الصعيد العربى - لا لمجرد تضادفة وقعت اعتباطا أو مجرد ظروف عشوائية أو سطحية طارئه، ولكن ظروف معركة النضال العربى هى التى ألفت بهذه المسئولية على الجمهورية العربية المتحدة .

« وان الظروف المحيطة بالنضال العربى كله أوضحت أمرين بارزين :

أولهما : - أنه لا بد ان تكون لحركة القومية العربية قاعدة ثابتة يستند عليها النضال الثورى الشعبى ويطمئن الى حمايتها له .

وآخرهما : - أنه لا بد أن يكون لحركة القومية العربية مضمون اجتماعى وعقيدة واضحة للحركة نحو المثل العليا لكرامة المواطن العربى

وبحكم ظروف النضال العربى ذاته كانت المسئولية فى الأمرين واقعة على الجمهورية العربية المتحدة . . . كان لا بد لها أن تكون القاعدة . . .

وكان لا بد لها أن تكون نموذج الحركة الاجتماعية نحو المثل العليا . (١)

فالجمهورية العربية المتحدة هى طليعة الدفع الثورى العربى وقلعة النضال العربى التحررى وقاعدته وينبوع التيار الهادف للوحدة العربية الشاملة والمثل العليا للقوة الذاتية العربية وذلك بحكم ما تمثله من الطاقات الثورية والطاقات النضالية المادية والمعنوية وبحكم ما ألقته عليها ظروف معركة النضال العربى .

يقول الرئيس :

« ان الطليعة ليست زعامة وتقدما وانما دور الطليعة ارتياد للمجهول ومواجهة للخطر . . . ولذلك فالقاعدة ليست سيطرة وانما القاعدة خدمة »

(١) من مقال «هل توقف اندفاع القومية العربية ؟ نلاستاذ هيكىل بجريدة الاهرام »

والجمهورية العربية المتحدة كطليعة وقاعدة للنضال العربى
التحررى هى السند الاول لمساندة استقلال كل بلد عربى .. حيث
يقول الرئيس ..

« لقد ساندنا استقلال كل بلد عربى ووضعنا حريتنا فى الميزان
ندعينا لحريته وجعلنا خبرتنا العلمية وامكانياتنا الاقتصادية
والسياسية - هن اشارته »

والجمهورية العربية المتحدة تتحمل القسط الاكبر من مسئوليات
النضال الشعبى العربى فى الجزائر وتونس والجنوب العربى وعلى
الجمهورية العربية المتحدة تقع اليوم المسئولية الكبرى تجاه عروبه
فلسطين واعادة الارض العربية لاصحابها وتصفية القاعدة الاستعمارية
« اسرائيل » وذلك يتطلب منا كما يقول الرئيس : « قوة عربية ذاتية
شاملة » . ذلك لان هذه المشكلة تتصل اتصالا وثيقا بأوضاعنا
الداخلية لانها ترتبط ارتباطا لا انفصال فيه مع قوتنا الذاتية
الشاملة .

اذن فالجمهورية العربية انما تدرك تمام الادراك وتعى تمام
الوعى ان القوة الذاتية الشاملة للامة العربية هى الهدف والامل
الثورى المنشود للامة العربية لجابهة كل مايعترضها ويعرقلها من
جميع التحديات التى تحول دون بلوغ الامة العربية أملها المنشود .

المبحث الثالث

البتروول العربى

والقوة الذاتية العربية الشاملة

حينما حاول الرئيس جمال عبد الناصر أن يحلل عناصر قوتنا فى كتابه « فلسفة الثورة » أبرز ثلاثة مصادر من مصادرها يجب أن نكون أول ما يدخل فى الحسبان . . ولقد كان البتروول هو ثالث هذه العناصر البارزة من عناصر قوتنا .

ويقول الرئيس : ان البتروول . . يعتبر عصب الحضارة المادية والذى بدونهُ تستحيل كل أدواتها ، المصانع الهائلة الكبيرة لانواع الانتاج وكافة وسائل المواصلات فى البر والبحر والجو وأسلحة الحرب سواء فى ذلك الطائرات المحلقة فوق الضباب أو الغواصة المستترة تحت أطباق الموج - تستحيل كلها قطعاً من الحديد يعلوها الصدا لا تنبعث منها حركة أو حياة .

« وبودى لو وقفت قليلا عند البتروول فلعل وجوده كحقيقة مادية نقررعا الاحصائيات والأرقام يصلح ليكون نموذجاً للمناقشة فى أهمية مصادر القوة الذاتية » .

« ولقد قرأت أخيراً رسالة طبعتها جامعة شيكاغو عن ظروف البتروول وبودى لو كان لكل فرد من أفراد شعبنا أن يقرأها ويتدبر معانيها ويسرح بفكره فى المعنى الكبير الكامن وراء أرقامها واحصائياتها . . تقرر هذه الرسالة مثلاً أن العمل لاستخراج بتروول البلاد العربية لا يتكلف كثيراً من المال .

« ولقد أنفقت شركات البتروول ٦٠ مليوناً من الدولارات فى كولومبيا ابتداءً من عام ١٨١٦ ولم تعثر على قطرة زيت الا فى سنة ١٩٣٦ . . .

« وأنفقت هذه الشركات ٤٤ مليونا من الدولارات في فنزويلا ولم تحصل على قطرة من الزيت الا بعد مرور ١٥ سنة »

« وأنفقت هذه الشركات ٣٩ مليونا من الدولارات في جزر الهند الهولندية وأخيرا عثرت على الزيت »

« وكانت النتيجة الأخيرة التي قررتها هذه الرسالة في هذا الموضوع أن رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت في أمريكا ٧٨ سنتا »

« وأن رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت في أمريكا الجنوبية ٤٣ سنتا »

« وأن رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت في البلاد العربية ١٠ سنتات »

« ان عاصمة انتاج البترول في العالم قد انتقلت من الولايات المتحدة التي أستنزفت آبارها وارتفع سعر الارض فيها وزادت أجور الايدي العاملة لابنائها .. الى المنطقة العربية التي مازالت آبارها بكرى والتي ما زالت أراضيها الواسعة الشاسعة الاطراف بلا ثمن وما زالت يدها العاملة تقبل ما دون الكفاف »

« ولقد ثبت ان نصف الاحتياطي المحقق من البترول في العالم يرقد تحت أرض المنطقة العربية والنصف الآخر موزع بين الولايات المتحدة وروسيا ومنطقة الكاريبي وغيرها من بلاد العالم »

« وثبت أيضا أن متوسط انتاج البئر الواحد في اليوم من الزيت :

« ١١ برميل في الولايات المتحدة »

« ٢٣٠ برميل في فنزويلا »

« ٤٠٠٠ برميل في المنطقة العربية »

« هل أوضحت مدى أهمية هذا العنصر من عناصر القوة »

« أرجو أن أكون قد وفقتم »

« وبعد ... فلنا أن نتساءل »

ماذا قدم البترول العربي - وهو أحد المصادر البارزة لقوتنا المادية والمعنوية للأمة العربية ؟ وما دوره في معركة تحقيق القوة الذاتية للأمة العربية ؟

البترول العربي .. الذى ينبع من أعماق الارض العربية . التى تمن على الأمة العربية بثروات وموارد طبيعية لا تقدر بمثلها أمة أخرى .

هذا البترول العربى .. هل هو ملك للعرب وللعروبة أو ملك للاحتكارات الامبريالية فى عقر دار العرب ؟

البترول العربى هو الرئة التى تتنفس بها اقتصاديات أوروبا وأمريكا واكسير الحياة الصناعية والتجارية ومصدر الثراء والقوة المادية والمعنوية والمنقذ الاول للعجز فى الميزان التجارى لدولة أوروبية مثل فرنسا ، هذا البترول العربى ماذا قدم للاقتصاد العربى المتخلف وما دوره الحقيقى فى التنمية الاقتصادية العربية ؟

البترول العربى .. الورقة الاربعة على مائدة الصراع العالمى .. وعلى موائد المخططات الاستعمارية وسيد الموقف فى معركة الصراع العالمى الاستعمارى بين الكتلتين الشرقية والغربية من جهة .. وبين دول الكتلة الغربية من جهة أخرى .. ومن ثم كان من الضرورى زرع القواعد البحرية والحربية الاجنبية فى الوطن العربى لحماية المصالح الاحتكارية الامبريالية للبترول مثل قاعدة الظهران لحماية آبار القطيف والدمام ومثل قاعدة البصرة والحبانية فى العراق لحماية بترول كركوك والموصل . وأيضاً لعل مافى حوادث السنوات القليلة الماضية فى العراق تؤكد مدى الصراع العالمى على بترول العراق من تكون حلف بغداد (الحلف المركزى) لتمويل حلف الاطلنطى بما يلزمه من البترول .

ثم قيام ثورة ١٤ من تموز عام ١٩٥٨ ونشوب الصراع الاستعمارى وظهور أطماع الشيوعية المحلية ومخططاتها من محاولة تحطيم حلف الاطلنطى .. الى محاولة الاستيلاء على السلطة والحكم وانهاء الاحتكار الاوروبى للبترول العراقى الى محاولة تدريب الاكراد للقيام بثورات

ضد الحكم القائم .. الى . الخ .. أقول ما أثار هذا الصراع العالمى على الاستقرار السياسى للوطن العربى وعلى حرية هذا الوطن ؟

البتروى العربى .. تلك الطاقة أو الذخيرة المادية التى وهبها الله للأمة العربية .. كيف تستغل هذه الطاقة ؟ ولمصلحة من ؟ وهل تحملت مسئوليتها فى بناء القوة المادية والمعنوية للقومية العربية .

عائلات البترول العربى .. أين تذهب ؟ وأين تبعثر ؟ ومادورها الحقيقى فى توفير وبناء القوة العربية الذاتية الشاملة للأمة العربية ؟ أسئلة .. وأسئلة أخرى كثيرة تتراقص أمامها علامات الاستفهام ويكتنفها ضباب من الغيوم !

انها أسئلة حائرة فى قلب كل عربى .. تنتهى بعلامات استفهام وعلامات تعجب ..

أما آن لأحد أن يجيب عنها ؟

ولكنى أبادر فأقول .. ان الإجابة عن هذه الاسئلة ليست ملك أمراء ومشاىخ البترول .. وليست ملك الحكومات الرجعية العميلة للاستعمار .. وكذلك ليست ملكا للشركات الامبريالية الاحتكارية التى تحتكر وتستغل البترول العربى .

أن الإجابة عن هذه الاسئلة هى ملك الارادة الخالصة لجماهير شعبنا العربى من الخليج الى المحيط .

جماهير شعبنا التى اذا ما استجمعت ارادتها واذا ما استوحت ضميرها استطاعت أن تتحدى جبروت الاستعمار فهى قادرة على أن تعيد كتابة تاريخها قادرة على أن تعيد الحق الى نصابه . والبترول الى أصحابه والحق لا يصير باطلا مهما طال عليه الأمد وبتروى العرب للعرب .

أهمية البترول العربى

ويمكننا أن نلخص أهمية البترول العربى فى النقاط الآتية :

١ - آبار البترول العربى يحتوى جوفها على ٧٠ ٪ من احتياطى البترول العالمى .

٢ - يمتاز البترول العربى بارتفاع انتاج آباره ويمتاز أيضا من حيث نسبة المصفى وغزارة الانتاج وقلة تكاليف الاستخراج ورخص الايدى العاملة .

٣ - ضالة الحصص التى تؤديها الشركات الاجنبية الى حكومات البلاد العربية صاحبة مناطق النفوذ .

٤ - قرب مناطق البترول العربى من أسواق الاستهلاك وسهولة مد الانابيب عبر الاراضى العربية المنبسطة . الخ

من أجل هذه الميزات والمميزات للبترول العربى وغيرها كان البترول العربى هدفا للصراع الاحتكارى والاستعمارى .

فالبترول العربى الآن فى معظم البلاد العربية يثن تحت وطأة الاحتكار الامبريالى الذى يقترن بأشنع وسائل الاستغلال والاحتكار والعلاقة وثيقة بين الاحتكار والاستعمار . فالاحتكار هو أعلى مراحل الاستعمار . وهما صنوان متلازمان متكاملان .

وليس هنا مجال سرد مراحل الصراع الامبريالى الاحتكارى الذى خاضته الاحتكارات الانجليزية والامريكية وغيرها عن طريق المؤتمرات والمخططات الاستعمارية الهادفة للاستغلال واحتكار موارد وثروات ومقدرات الوطن العربى وخاصة الثروة البترولية .

وانما انقصد هنا تبين حقيقة الاستغلال والاحتكار الامبريالى للبترول العربى ويكفى هنا أن نعرف أن نصيب شركات البترول الامريكية فى بترول الشرق الاوسط العربى فى عام ١٩٥٧ قد بلغ ٩٠٢١٧ من جملة الكمية الناتجة .

وزيادة على ذلك فان شركات البترول الامريكية هى المالكه الوحيدة لآبار البترول فى السعودية ذات الانتاج الغزير فاذا أضفنا الى ذلك حصة الشركات الامريكية فى شركة بترول العراق والشركات الغربية التابعة لها فى بعض بلاد المنطقة بان لنا كيف أن الشركات الامريكية تسيطر وحدها على نسبة هائلة من بترول الشرق العربى بلغت فى بعض الاحصاءات ٦٢ر٤٪

وبصفة عامة فان البترول العربى يضمن لاوروبا رخاءها الحقيقى
فان ٨٠٪ من قوتها المحركة كلها مستمدة منه .

ولقد استطاعت الدول والشركات الامبريالية أن نفوز بالتروة
البترولية العربية وتحتكرها عن طريق عقود الامتياز بينها وبين حكام
البلاد العربية الذين وقعوا تحت ضغط النفوذ الدولى للدول المحتكرة .
من جهة وتحت ضغط الثروة المفاجئة التى هبطت عليهم مرة واحدة
من جهة أخرى . .

ومن هنا فان عقود الامتياز هذه قامت على الضغط والاكراه
وتنطوى على انغبين والاحجاف لحقوق الدول المنتجة وكانت نتيجة
مباشرة للمؤامرات الاستعمارية والتكتلات الاحتكارية وعوامل السطو
والسيطرة والارهاب .

أكثر من هذا . . فانه وفقا للتقرير الذى وضعته اللجنة
الاقتصادية لاوروبا التابعة للامم المتحدة بلغ صافى أرباح شركات
البترول فى منطقة الشرق الاوسط من مبيعاتها للدول الغربية فقط
٨٠٪ من قيمة هذه المبيعات . . وأن صافى أرباح الشركات الامريكية
من هذه المبيعات الى منظمة التعاون الاقتصادى الاوروبى ستكون
خلال الفترة من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٥ ما يبلغ ٥٦٢ - ١٢٠٤
ملايين من الدولارات سنويا بعد دفع الاتاوات .

ومع كل هذا لم يسلم البترول العربى من المؤامرات والمخططات
الاستعمارية مثل محاولة تطبيق سياسة الاغراق المترتبة على وجود
فائض من انتاج البترول يفوق حاجة الاستهلاك مما يترتب عليه خفض
الاسعار ومن ثم يتأثر مستقبل الدول المصدرة للبترول .

هذه نظرة سريعة لحقيقة الاحتكار والاستغلال الامبريالى للبترول
العربى . . ان دلت على شىء فانما تدل على أن البترول العربى ليس
ملكا للعرب وانما هو يثن تحت وطأة الاحتكار والاستغلال الامبريالى
ولم يبدأ بعد البترول العربى فى تحمل مسئوليته ودوره فى معركة
البناء والتعمير من أجل توفير القوة الذاتية للامة العربية .

فاذا كانت الجمهورية العربية المتحدة بحكم طاقتها الثورية

وطاقتها النضالية المادية والمعنوية قد استطاعت أن توفر لنفسها لل
احتياجاتها من الاستثمارات التي تتطلبها الثورة الاجتماعية من أجل
بناء قوتها الذاتية في ظل المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني.
الذي يقوم على دعامين من وفرة الانتاج وعدالة التوزيع . فان بلادا
عربية كثيرة أخرى بعضها يتفجر في أرضه البترول مازالت تئن تحت
وطأة الحاجة الماسة الى استكمال احتياجاتها من أجل تغير وتنمية
اقتصادها الاستاتيكي المتخلف وصناعاتها اليدوية البدائية وتجاربها
الكاسدة ، وميزانها التجاري الذي يشكو العجز المستمر .

هذا الى جانب ان الانسان العربي في تلك البلاد يعاني الفقر
ادى والحرمان من الحرية السياسية والاجتماعية ..

أقول : ان الجمهورية العربية المتحدة في سعيها الى قوة عربية
ذاتية كانت في حاجة الى استثمارات ضخمة من أجل عملية التنمية
الاقتصادية من أجل بناء اقتصاد قومي متين .. وكان في وسع
جمهوريتنا أن تطلب من أمراء البترول ومشايخه توجيه بعض أموالهم
المكدسة في خزائن البنوك والشركات والمؤسسات والشركات الاجنبية
الى الاستثمار هنا في الجمهورية العربية المتحدة .

ولكن جمهوريتنا - وكانت صاحبة الحق في ذلك - أثبت ذلكونم
تطلب .. وذهبت الى طلب القروض والتسهيلات الائتمانية
في كل عواصم العالم .. وأكثر من هذا فقد أعلنت جمهوريتنا
تأميم شركة قناة السويس عام ١٩٥٦ من أجل توجيه دخلها السنوي
الذي بلغ حوالي خمسين مليوناً من الجنيهات الى مشروعات التصنيع
والتطوير وأخيراً أصدرت القوانين الاشتراكية في يوليو ١٩٦١

وكانت بمثابة ثورة بناءة من أجل بناء مجتمعنا الجديد ..
المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني .

ولكن ما مصير البلاد العربية التي ما زالت تئن تحت وطأة
الاحتكار والاقطاع والرجعية .. والتخلف الاقتصادي والاجتماعي

ما دور البترول العربي .. وعائداته في تبديل وتغير هذه
الحياة السائدة في مجتمعات البلاد العربية والتي ما هي الا صورة
لمجتمعات شبه بدائية ؟

نظرة سريعة بالارقام لتظهر المشكلة على حقيقتها (١) .

- ١ - تحصل العراق من دخل البترول على ٣٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنويا .
- ٢ - تحصل الكويت من دخل البترول على ٥٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنويا .
- ٣ - تحصل السعودية من دخل البترول على ٣٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنويا .
- ٤ - تحصل قطر من دخل البترول على ١٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنويا .

» ومعنى ذلك . . . دون حساب بترول البحرين لانه قليل ودون حساب بترول ليبيا لان أرقامه لم تتضح بعد - ان أربعة من البلاد العربية تحصل سنويا على ١٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٢٥٠ مليون دولار سنويا - أى ما يقرب من خمسمائة مليون من الجنيهات الاسترلينية سنويا

أين تذهب هذه المبالغ الخيالية كل سنة ؟ . ومادورها الحقيقى فى توفير القوة الذاتية العربية حتى داخل حدود بلادها . . داخل العراق ، وداخل الكويت ، وداخل السعودية ، وداخل قطر ؟

ولو حسبنا المدارس والمستشفيات والمصانع والحقول الجديدة والاستثمارات الحقيقية البناءة التى استطاعت غائدت البترول الغربى أن تضيفها الى القوة الذاتية لهالتنا النتيجة .

ومن هنا . . . فان البترول العربى وعائده مازالت تبعثر هباء ومازالت تثن تحت وطأة الاحتكار الامبريالى من أجل بناء القوة الذاتية للدول الاوربية الاستعمارية . . لاء القوة الذاتية للدول العربية صاحبة الحق الاول للبترول الذى ينبع من أرضها الطيبة .

ولقد ارتفعت الصيحات بضرورة وضع حد للسيطرة الاحتكارية

(١) من مقال الاستاذ حسنين هيكل - الاهرام فى ١٩ من مايو

١٩٦١

الامبريالية على البترول العربي وتخليص عقود بعض المشروعات
وانعقدت المؤتمرات البترولية وكان من أهم هذه المشروعات
والمؤتمرات ما يلي :

١ - قرار المجلس الاقتصادي للجامعة العربية في ٢٨ من مايو
١٩٥٧ خلال دورته الرابعة وأهم نقاطه :

- (١) العمل على تعريب صناعة البترول
- (ب) المطالبة بحصة أكبر في الأرباح
- (ج) تكرير البترول الخام في نفس أماكن استخراجه نفسها
- (د) انشاء أسطول من الناقلات العربية وانشاء شركة عربية
لتسويق البترول وتوزيعه

٢ - المؤتمرات البترولية حيث انعقد المؤتمر البترولي الأول في
القاهرة عام ١٩٥٩ وانعقد المؤتمر البترولي الثاني في بيروت عام
١٩٦٠ وانعقد المؤتمر البترولي الثالث في الاسكندرية عام ١٩٦١

هذه المؤتمرات أصبحت شديدة الأهمية بالنسبة لكل ما يتعلق
بمستقبل البترول العربي ... من كشف الى استثمار الى تصنيع
وتجارة فتطوير ، فضلا عن الدور الذي تؤديه هذه المؤتمرات في
اقامة دعائم التعاون بين شركات البترول والبلدان المنتجة وبلدان
المرور ... وتبادل الآراء القيمة الواعية حتى تنمو وتزدهر الصناعة
البترولية العربية ويزداد تطورها ويتنوع حتى تصبح أداة أكثر فاعلية
وتنظيما في انماء وتعزيز الاقتصاد العربي والاقتصاد العالمي ..

٣ - ظهور بعض المشروعات العربية التي تنادي بانفاق بعض
أرباح البترول العربي على المشروعات الائتمانية في الدول العربية
وذلك كمشروع السيد اميل السيناى الذى قدمه الى مؤتمر البترول
العربي الأول في القاهرة

وأخيرا ... فاننا ننظر بملء الثقة والطمأنينة الى مستقبل
البترول العربي فلقد آن الأوان للثروة البترولية أن تساهم وتشارك
وتصمد مع الجمهورية العربية المتحدة في معركة المصير العربي من أجل
بناء القوة العربية الذاتية الشاملة القادرة على انتزاع النصر أمام
جميع أنواع التحديات الناجمة من مجابهة المشكلات والخطار

خاتمة

الأمة العربية قوة ذاتية غالبة

والأمة العربية قوة ذاتية صامدة

فالأمة العربية قوة ذاتية غالبة إبان النشأة والظهور وفي فترات ازدهارها ووحدتها وتماسك بنيانها .

والأمة العربية قوة ذاتية صامدة . . بالرغم من تغلب موجات الجزر العنيد على موجات المد الضئيل . فلقد صمدت هذه الأمة أمام التيارات الغازية والمخاطر المتعاقبة والحركات المعادية للعروبة . . وأمام المخططات الاستعمارية والنعرات الطائفية والمذهبية والإقليمية والرجعية . . وأمام الخطوط والفواصل الوهمية والحواجز والكيانات السياسية المصطنعة في الوطن العربي وأمام قوى التحديات على اختلاف أنواعها ومذاهبها ومشاربها .

نعم : - لقد صمدت في هذه الأمة منارات مشعة وحصون وقلاع صامدة تغذيها أحاسيس وإرادة مشتركة بالذاتية العربية الحرة المستقلة تنادى الشعب العربي كلما سكن ، وتدفعه كلما وقف ، وتوقظه كلما غفل ، وتذكره بتاريخه الحضاري ودوره القيادي الانساني كلما بدا عليه أنه استسلم لقبضة النسيان .

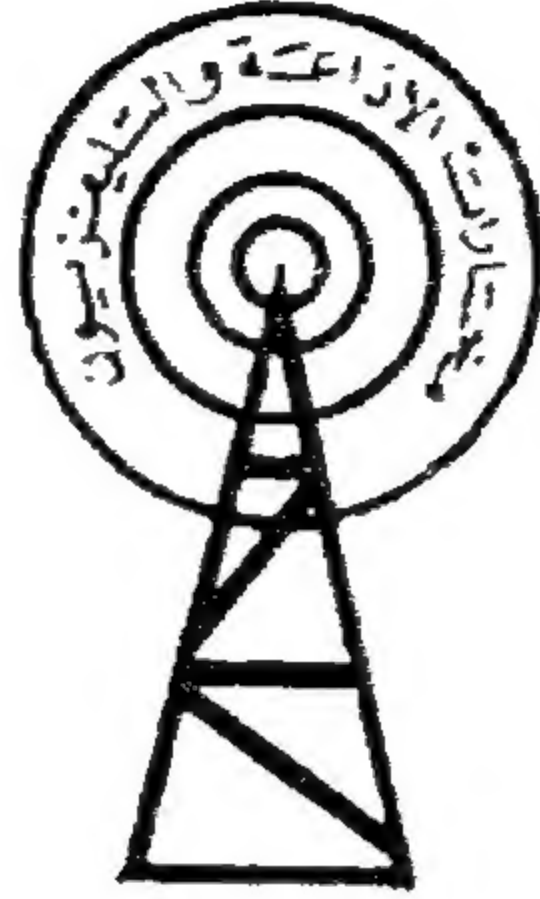
والجمهورية العربية المتحدة هي طليعة النضال العربي التحرري التقدمي وقاعدته . . وتتمثل وتتجسد فيها القوة الذاتية العربية المعاصرة .

أعان الله الجمهورية العربية المتحدة وهي تسعى بكل طاقتها الثورية وطاقاتها النضالية المادية والمعنوية . . الى أن تكون المثل الأعلى لما ينبغي أن يكون عليه الوطن العربي الحر والمواطن العربي الحر . .

تم بحمد الله

أهم مراجع البحث

- ١ - دراسات في المجتمع العربي •
للدكتور بطرس غالي وخيري عيسى وعبد الملك عودة •
- ٢ - محاضرات في المجتمع العربي •
للدكتور عز الدين فودة •
- ٣ - مجموعة مقالات « بصراحة » بجريدة الاهرام •
للأستاذ محمد حسنين هيكل •
- ٤ - « اسرائيل » فكرة - حركة - دولة •
للاستاذ هانيء والاستاذ محسن ابراهيم •
- ٥ - أسرار الحركة الانفصالية في سورية •
للأستاذ أحمد مهابة •
- ٦ - الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية •
للأستاذ الحكم دروزة •
- ٧ - منشورات جامعة الدول العربية •
- ٨ - منشورات حركة القوميين العرب بلبنان •
- ٩ - منشورات مصلحة الاستعلامات بالجمهورية العربية المتحدة •
- ١٠ - مجلة العلوم السياسية تصدرها الجمعية المصرية للعلوم السياسية •



١٥٧ شارع عبید - روض الفرح

تلفون . ٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ - ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢ - ٤٥٣٤٦